سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي

كتاب المنتدى

سُورَة الصّلاة

ترتج بها المساجد والمصليات.. ولكن!!

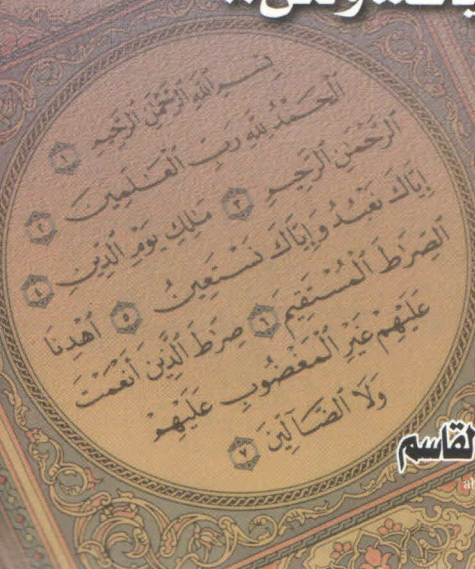

تأليف

عبدالحكيم بن عبدالله القاسم

البريد الإلكتروني abohkeem@islamway.net

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

ح مجلة البيان١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد الحكيم عبد الله

سورة الصلاة ترتج بها المساجد والمصليات.. ولكن!! - الرياض

٧٩ ص؛ ١٧X ٢٤

ردمك: ٠-٧-٩٣٦٥-٩٩٦٠

١ - الصلاة.

أ - العنوان

ديوي ٤,٢٥٢ ٢٣/٣٩٤٠

رقم الإيداع ٢٣/٣٩٤٠

ردمك ٠-٧-٩٣٦٥-٩٩٦٠

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ . ٧١]، أما بعد:

فهذه وقفة تدبُّر أمَرَنا الله - عز وجل - بها؛ حيث قال: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، وهذا الأمر متأكد في آيات الفاتحة التي هي عمود الصلاة وهي أم القرآن، والمسلمون يدعون في كل ركعة من صلواتهم بهذا الدعاء العظيم، وترتج بتأمينهم عليه المساجد، إلا أن الكثير منهم لا يعرف معناه، فلو أدرت إليك أحدهم وقلت: بم دعوت؟ لتلكأ، وما درىٰ الجواب.

وعدم معرفة معنىٰ الدعاء سبب لحجب الإجابة؛ لأنه نوع غفلة عن الدعاء، ومن أسباب عدم إجابة الدعاء غفلة القلب ولهوه عن الدعاء، قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ»(١).

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب الدعوات، باب: في إيجاب الدعاء بتقديم الحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ قبله، ص ٧٩٤، رقم ٣٤٧٩، والحاكم في المستدرك، في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل، ١ / ٤٩٣، وصححه الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة، رقم ٤٢.

فاحتسب ـ أخي ـ أن تقعد هذه الدقائق لقراءة هذه السطور، وحاول العود إليها مرة بعد أخرىٰ فالعَوْد أحمد، علها تفيدك في الأولىٰ والأخرىٰ.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن دعاء الفاتحة: «والعبد مضطر دائماً إلىٰ أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهو مضطر إلىٰ مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة من العذاب، ولا وصول إلىٰ السعادة إلا بهذه الهداية، فمن فاته فهو: إما من المغضوب عليهم، وإما من الضالين، وهذا الهدىٰ لا يحصل إلا بهدىٰ الله»(١).

وقال أيضاً: «وهذا أجلُّ مطلوب، وأعظم مسؤول، ولو عرف الداعي قدر هذا السؤال لجعله هِجِّيرَاه(٢)، وقرنه بأنفاسه؛ فإنه لم يدع شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلا تضمنه، ولما كان بهذه المثابة فرضه الله علىٰ جميع عباده فرضاً متكرراً في اليوم والليلة؛ لا يقوم غيره مقامه، ومن ثم يعلم تعين الفاتحة في الصلاة، وأنها ليس منها عوض يقوم مقامها»(٣).

أخي الكريم: احرص علىٰ تواطؤ قلبك مع لسانك في هذا الدعاء، فـ «ما نطق به اللسان، ولم يعقد عليه القلب، ليس بعمل صالح، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]»(٤).

واعلم أن ما أمرت بالدعاء به فأنت مأمور بالعمل به بجوارحك، وهو عبادة الله واستعانته(٥)، فيتواطأ علىٰ هذا الدعاء: القلب واللسان والجوارح.

ومما يؤكد أهمية معرفة معاني هذه السورة الكريمة: ما لهذه السورة من

---

(١) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام، ١٤ / ٣٧.

(٢) الهجيرىٰ: الدأب والملازمة، انظر: ترتيب القاموس (٤ / ٤٨٢) مادة: هـ ج ر.

(٣) نقله ابن القيم عن ابن تيمية، بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم (١ / ٢٢٣)، جمع يسري السيد محمد.

(٤) تفسير الفاتحة، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ، ص ٣٦.

(٥) انظر: مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية، ١٤ / ٨.

فضائل عظيمة، وخصائص رفيعة، صارت بها الفاتحة أم القرآن، والسبع المثاني.

ورغبة في تحصيل الإجابة لهذا الدعاء العظيم؛ أحببت أن أجمع ما استطعت من معانيه؛ ليستحضرها الداعي فيدرك من سؤاله أكمل الإجابة وأحسنها. والله الموفق.

المؤلف

عبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم

محاضر التفسير

بكلية المعلمين بالرياض

ص ب ٣٠٥٠٣٨ الرياض ١١٣٦١

البريد الإلكتروني: abohkeem@islamway.com

التمهيد

قبل استعراض معاني هذه السورة العظيمة، أقدم لها بتمهيد أتحدث فيه عن وقت نزول السورة على النبي ﷺ، وشيء من فضائلها بإيجاز، ولذلك أثرٌ في بيان منزلة السورة وإدراك معانيها.

مرحلة نزول سورة الفاتحة:

للعلماء أقوال ثلاثة في المرحلة الزمنية التي نزلت فيها سورة الفاتحة، فقيل: هي مكية؛ أي: نزلت قبل الهجرة. وقيل: بل هي مدنية؛ أي: نزلت بعد الهجرة. وقيل: بل نزلت مرتين، قبل الهجرة وبعدها.

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنها نزلت قبل الهجرة، ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، ووجه دلالة هذه الآية على أن الفاتحة مكية: ورود الفاتحة باسم السبع المثاني[١]، وأما كونها مكية: فهذه الآية من سورة الحجر وهي مكية، ثم إن الخبر جاء على صيغة الماضي ﴿آتَيْنَاكَ﴾. ومما يؤيد مكية الفاتحة: أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة، ولم تعهد الصلاة في الإسلام إلا بالفاتحة[٢].

فضائل السورة:

لسورة الفاتحة فضائل كثيرة؛ من أهمها:

أ ـ أن الصلاة لا تصح بغيرها، فكما أن عمود الإسلام الصلاة، فكذلك عمود الصلاة الفاتحة.

---

(١) ليس هناك من السور ما عدد آياته سبع اتفاقاً غير الفاتحة، واختلف في سورة الماعون فقيل: آياتها سبع، وقيل: ست. انظر: روح المعاني، للآلوسي، ١/ ٦٨.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وفاتحة الكتاب نزلت بمكة بلا ريب... وقد قيل: إنها مدنية. وهو غلط ظاهر»، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ١٧/ ١٩٠ ـ ١٩١.

ب- أنها أعظم سورة في القرآن؛ كما روىٰ أبو سعيد بن المعلىٰ- رضي الله عنه- قال: «كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله: إني كنت أصلي. فقال: ألم يقل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]! ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»(١).

ج- أن لها شأناً عظيماً في الرقية يدل عليه حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه-: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا علىٰ حي من أحياء العرب فلم يَقْرُوهم(٢)، فبينما هم كذلك إذ لُدغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تَقْرُونا! ولا نفعل حتىٰ تجعلوا لنا جُعْلاً. فجعلوا لهم قطيعاً من الشّاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بُزَاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشّاء، فقالوا: لا نأخذه حتىٰ نسأل النبي ﷺ. فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية؟! خذوها واضربوا لي بسهم»(٣)، وفي لفظ: «فانطلق يتفل ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبة»(٤)، وفيه قال ﷺ: «قد أصبتم»(٥)، ومعنىٰ قوله ﷺ: «وما أدراك أنها رقية؟!» التقرير والتصويب للرقية بها.

د- أنها نور، ونزلت خاصة بالنبي ﷺ دون سائر الأنبياء، ونزل بالبشارة بها

---

(١) رواه البخاري في التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، ص ٧٥٩، رقم ٤٤٧٤.
(٢) أي: يضيفوهم ويطعموهم.
(٣) رواه البخاري في الطب، باب: الرقىٰ بفاتحة الكتاب، ص ١٠١٣، رقم ٥٧٣٦.
(٤) «قلبة» أي: علة.
(٥) رواه البخاري في الإجارة، باب: ما يعطىٰ من الرقية علىٰ أحياء العرب بفاتحة الكتاب، ص ٣٦٣، رقم ٢٢٧٦، والذي رقىٰ اللديغ هو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

ملك، ووُعِد ﷺ بإعطاء ما احتوىٰ عليه معناها، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً[١] من فوقه، فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم»، فنزل منه ملك فقال: «هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلّم وقال: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك[٢]: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[٣].

فقد وعد الله رسوله ﷺ في هذا الحديث بأن يعطىٰ ما حوته الفاتحة وخواتيم البقرة من فضائل وخصائص، وهذا وعد له ولمن تبعه من أمته، علىٰ حسب إخلاصهم لله ومتابعتهم لرسول الله ﷺ.

أسماء الفاتحة:

أسماء الفاتحة المأثورة كثيرة، وكثرة الأسماء دليل عِظَم، وكل شيء بحسبه؛ ومن ذلك: كثرة أسماء الله تعالىٰ، ورسوله ﷺ، واليوم الآخر، والجنة، والنار، والأسد، والسيف، وغيرها.

ومن أسماء سورة الفاتحة المأثورة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، والصلاة، ومن أوصافها: أنها نور، ورقية...[٤].

---

(١) أي صوتاً كصوت الباب إذا فتح.

(٢) جاء في حديث آخر في الفاتحة فقط: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها»، رواه ابن خزيمة في صحيحه، ١ / ٢٥٢، والترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل الفاتحة، ص ٦٤٦، رقم ٢٨٧٥، وغيرهما.

(٣) رواه مسلم بلفظه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ص ٣٢٦، رقم ١٨٧٧، والنسائي بنحوه في كتاب الصلاة، باب: فضل فاتحة الكتاب، ص ١٢٧، رقم ٩١٣.

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ١ / ١٦٧ ـ ١٧١، وذكر أسماء وأوصافاً كثيرة.

سـورة الفاتحـة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧) ﴾

[الفاتحة : ١ - ٧] .

البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم :

هذه التسمية «البَسْمَلَة» تسمى في اللغة : النحت، وهي : صياغة فعل ماض على وزن «فَعْلَلَ»، ومن هذا النوع : «سَبْحَلَ» لجملة : سبحان الله، و«حَيْعَلَ» لجملة : حي على الصلاة، و«حَوْقَلَ» لجملة : لا حول ولا قوة إلا بالله، و«حَمْدَلَ» لجملة : الحمد لله، و «هَلَّلَ» لجملة : لا إله إلا الله، ونحوها.

ومعنى جملة البسملة: الباء حرف جر متعلق بفعل محذوف مقدّر بنيَّة المتكلم، ومعنى : باسم الله : أستعين باسم الله، قال ـ تعالى ـ : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ [الأعراف : ١٢٨]، والمستعين هو المتكلم، والمستعان عليه محذوف يتحدد بالنيّة، والمستعان به جميع أسماء الله تعالى؛ لأن الاسم في البسملة مفرد مضاف لله، فيعمّ جميع أسماء الله الحسنى.

واسم الله ـ تعالى ـ : دالّ على الألوهة، وهي : العبادة مع غاية المحبة وغاية التعظيم والخضوع، ومنه قول قوم فرعون لفرعون : ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف : ١٢٧]، أي : وعبادتك، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ٣] أي : المعبود في السموات، والمعبود في الأرض، ولا يستحق أن يعبد إلا من له صفات الكمال والجمال والجلال.

وهذا الاسم يتضمن توحيد الألوهية: وهو توحيد الله بأفعال العبد، كأفعال العبد القلبية الباطنة: من الخشية، والمحبة، والخضوع، والتوكل، ونحوها. أو أفعال العبد الظاهرة على الجوارح، كالصلاة، والذبح، والزكاة، ونحوها. وهذا النوع من التوحيد هو الذي وقع فيه الاختلاف بين الرسل وأقوامها، فقالت قريش: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

واسم الله لا يسمّى به غير الله تعالى، وهو الاسم العَلَم عليه تعالى، فيُذكَر في أول أسمائه الحسنى، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وفي الحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»(١).

الرحمن: اسم لله ـ تعالى ـ يدل على أن الرحمة وصف له ذاتي؛ ولذلك كان ورود هذا الاسم بوصف الرحمة دون متعلّقها، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ولم يرد في النصوص تخصيص اسم «الرحمن» بالمؤمنين ونحوهم، بل ورد ذلك في اسم «الرحيم»(٢).

والرحمن اسم لا يجوز التسمي به للمخلوق، وقد تسمى به ـ كافر متنبئ على وجه مخصوص، فكان يُدعَى: رحمان اليمامة ـ مسيلمة الكذاب، وذكر بعضهم أن تسمّيه بهذا من باب الغلو في الكفر ومحادة المسلمين(٣).

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها، ص ١١٦٧، رقم ٦٨١٠.

(٢) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ١٣٧.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١ / ١٧٢.

ومن دقة بعض العلماء المعاصرين في عدم جواز التسمي بهذا الاسم ولا الاشتقاق منه؛ أنه سمع اسم «الرحمانية» علم على مكان وموضع، فقال: «في هذه التسمية نظرٌ لأنها تشعر بنسبة التشريف، ونسبة التشريف كإضافة التشريف تتوقف على الدليل، ولكن الذين أطلقوا هذه النسبة لم يريدوا ذلك، وإنما أرادوا النسبة إلى عبد الرحمن وعبد العزيز، والقاعدة أن النسبة إلى المركب الإضافي تكون إلى المضاف إليه. فالأولى في مثل هذا إضافة المكان إلى عبد الرحمن أو عبد العزيز، كأن يقال مسجد عبد الرحمن وحي عبد العزيز، وما أشبه ذلك»[1]، ومقصوده أنها مشتقة من الرحمن، والواجب التحرّز من الإلحاد والميل في أسماء الله، والرجوع عن ذلك عند العلم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد أنكر المشركون اسم الرحمن، وجاء تقرير هذا الاسم في السور المكية، إلا في موضع واحد جاء في سورة البقرة، فقد تكرر وروده في سورة مريم وحدها ست عشرة مرة، وفي طه أربع، وفي الأنبياء أربع، وفي الفرقان خمس، وفي يس أربع، وفي الزخرف سبع، وفي الملك أربع، وفي النبأ اثنتين.

الرحيم: اسم لله يدل على إيصاله الرحمة إلى عباده، والرحيم رحمته الفعلية التي يفعلها متى شاء.

ورحمة الله ـ تعالى ـ لخلقه على نوعين:

الأول: رحمة عامة لجميع الخلق، المؤمنين والكافرين وسائر المخلوقات، فالله ـ عز وجل ـ وسعت رحمته كل شيء، وما خلقه ورزقه وتقديره وكتابته إلا دليل هذه الرحمة الشاملة.

---

(١) هو الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر البراك، حفظه الله.

يدل عليها: أنه ﷺ قال ـ لما رأى امرأةً من السّبي تبتغي ـ أي: تطلب ـ إذا وجدت صبياً في السّبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، ـ قال: «أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟» قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «لَلَّه أرحم بعباده من هذه بولدها»(١).

والثاني: رحمة خاصة بالمؤمنين يدلّ عليها قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣](٢)، وهي الأعلى والأغلى؛ إذ بها يكتمل نور الإيمان، ويتدرج بها العبد في منازل الجنان.

وقد يوصف المخلوق بالرحمة كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

والواجب على السامع مراعاة الفرق بين رحمة المخلوق المناسبة له ولضعفه ولفنائه، وبين رحمة الخالق القوي المتين الحي القيوم ـ سبحانه وتعالى ـ كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخَّر الله تسعاً وتسعين رحمةً يرحم بها عباده يوم القيامة»(٣)، فكل رحمات المخلوقين جزء واحد من مائة رحمة؛ من رحمات الله، فسبحان الرب الرحيم ما أوسع رحمته!!

---

(١) رواه مسلم، عن عمر الفاروق رضي الله عنه، في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها تغلب غضبه، ص ١١٩٣، رقم ٦٩٧٨.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١ / ٢٠.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها تغلب غضبه، ص ١١٩٣، رقم ٦٩٧٤.

هل البسملة من الفاتحة؟

البسملة معدودة آية في المصحفين: المكي والكوفي، وقراءتنا المشهورة التي نقرأ بها هي لحفص عن عاصم الكوفي، وأما في المصاحف الثلاثة: المدني والبصري والشامي فلم تعد آية [١]، وهذا يدل على اختلاف الصحابة - رضي الله عنهم - في عدها؛ ولذلك جعلت على هذا الوجه في المصاحف التي أرسل بها عثمان - رضي الله عنه - إلى أمصار المسلمين.

ومن أوضح الأدلة على ترجيح أنها ليست من الفاتحة ما يأتي:

قول الله - عز وجل - في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ قال الله - تعالى -: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ قال الله - تعالى -: أثنى علي عبدي. فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ قال: مجَّدني عبدي. وقال مرة: فوّض إلي عبدي[٢]. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾؛ قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»[٣].

فهنا قسم الفاتحة إلى نصفين، النصف الأول: من قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. والنصف الثاني: من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى آخرها، فلم يذكر البسملة، ولو كانت من الفاتحة لبدأ بها، والمقصود بقوله: «قسمت

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر، لأحمد بن محمد البنا، ١ / ٣٥٧.

(٢) فوّضت الأمر إلى فلان، أي: صيّرته إليه، وجعلته الحاكم فيه، فالمؤمن جعل الحكم وصيره كله لله وحده في يوم القيامة، فهو تمجيد بوصف الله - تعالى - بالعظمة.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ص ١٦٧، رقم ٨٧٨.

الصلاة»: الفاتحة؛ لذكره لآياتها، وسميت بذلك لأنها عمود الصلاة وأساسها(١).

النصفان متماثلان، وعلى عدّ البسملة آية يكون عدد الآيات إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أربع آيات ونصف، ويكون الباقي بعدها آيتين ونصف، وهذه القسمة لآيات الفاتحة ليست متناصفة فلا توافق التقسيم الوارد في الحديث القدسي.

وعلى عدّ البسملة آية تكون الآية الأخيرة طويلةً جداً، فلا تناسب آيات الفاتحة في قصرها.

ولو كانت البسملة آية لكان بعض لفظها ومعناها معاداً مرّةً أخرى في قوله ـ تعالى ـ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بدون فصل معتبر، ولا فائدة جديدة، وكانت الاستعانة في: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ معاداً معناها مع قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والفاتحة أمّ القرآن ولبّه فيبعد أن يكون فيها تكرارٌ مجرّد، بل يذكر فيها أمهات المعاني المهمات.

وما سبق لا يعني أن البسملة ليست بآية في القرآن مطلقاً، بل هي آية من القرآن؛ ولكنها منفصلة من السور، ونزلت للفصل بين السور، وهذا قول الجمهور ـ والله أعلم ـ(٢).

وقد بدأت بالبسملة وفسرتها هنا وهي ليست من الفاتحة على الصحيح: لأن المصلي يشرع له قراءتها، ولكونها آية مستقلة من القرآن، ولأن هذا هو أول ورود لها في المصحف(٣).

---

(١) ومن هذا الحديث القدسي أخذتُ تسمية هذا الكتاب، وسميته بسورة الصلاة.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٢٢ / ٣٥١.

(٣) للخلاف في البسملة أثر في وجوب قراءتها في الصلاة، فمن قال: هي آية منها؛ وجب عليه قراءتها، وإلا فهي سنة. انظر: المغني، لابن قدامة، ٢ / ١٥١.

الآية الأولى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

معنى الحمد، والفرق بينه وبين الشكر:

الحمد: ذكر المحمود بصفات الكمال والجمال مع المحبة للمحمود، وضده الذم، وهو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض للمذموم، ومعنى الألف واللام استغراق جميع أنواع المحامد.

ويفترق الحمد عن الشكر بأشياء؛ منها:

- أن الحمد على كل حال في السراء والضراء، والشكر عند النعمة الحاضرة فقط.

- والفرق الآخر في الآلة الفاعلة للحمد أو الشكر: فالحمد بالقلب واللسان فقط، والشكر بالقلب واللسان والجوارح، قال - تعالى -: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣][(١)].

أحق كلمة قالها العباد: (الحمد لله):

ومعنى اللام في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ للاستحقاق، فالمستحق لهذا الحمد الخالص الشامل هو الله - تعالى -[(٢)]. فكل حمد صحيح لمخلوق فالله - سبحانه - هو المستحق له كله، والأولى به على أعلى صفات الكمال؛ لأنه - سبحانه وتعالى - هو مقدّره ومسبّبه وميسّره، قال - تعالى -: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]، وفي الحديث: «اللهم لك الحمد كله»[(٣)]، وجاء في فضل «الحمد لله» أنها:

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١ / ٢١.

(٢) انظر: تفسير جامع البيان، للطبري، ١ / ٩٠.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه، ١ / ٥٠٦، ٥٠٧، وأحمد، ٣ / ٤٢٤، ٥ / ٣٩٦، والطبراني في الكبير، ٥ / ٤٠، والبخاري في الأدب المفرد، ١ / ٢٤٣، وذكره الألباني - رحمه الله - في صحيح الأدب المفرد، باب دعوات النبي ﷺ، رقم ٥٤١/ ٦٩٩، ص ١٨٩.

«أفضل الدعاء»(١)، وأنها أيضاً: «تملأ الميزان»(٢).

ولذلك كانت «الحمد لله» أحق كلمة يقولها العبد، كما كان ﷺ يقول بعد الرفع من الركوع: «ربنا لك الحمد، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهلَ الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(٣).

وكأن هذا الحمد وذكر الثناء والمجد لله - تعالى - بعد الرفع من الركوع؛ تأكيد وتكرير لما ورد في الفاتحة، ولما ورد في الركوع أيضاً، فيقول الإمام كما أمره الرسول ﷺ أن الله سمع لحامديه - أي: قَبِلَ حمدهم وثناءهم وتمجيدهم - .

فالعباد يقولون الحق ويقولون الباطل، ولكن أصدق ما يقوله العباد وأعلاه: الحمد لله - تعالى - .

كما أن الحمد التام يتضمن التوحيد، فهو يقر بأن الله وحده مستحق لكل الحمد؛ فهو أولى بأن يعبد لأنه أولى أن يحمد، ويستلزم هذا الحمد الإقرار بكمال حكمة الله - عز وجل - في خلق الخلق، وكمال رحمته بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فهي إذن تستلزم شهادة ألا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، في كتاب الدعاء، دعاؤه ﷺ يوم أحد، ١ / ٤٩٨، ٥٠٣، والترمذي في كتاب الدعوات، باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، ص ٧٧٢، رقم ٣٣٨٣، والنسائي في كتاب الصلاة، باب: ما يقول في قيامه ذلك، ص ١٤٨، رقم ١٠٦٩، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب: فضل الحامدين، ص ٥٤٣، رقم ٣٨٠٠، والإحسان إلى تقريب صحيح ابن حبان، ٢ / ١٤٠.
والحمد أفضل الدعاء؛ لأن التعريض عند الكريم كاف في العطاء الجزيل، والله أكرم معطي. أو أن الحمد يتضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب. انظر: الروضة الندية شرح الواسطية، للشيخ زيد الفياض رحمه الله، ص ٢٧٨.

(٢) رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، في كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء، ص ١١٤، رقم ٥٣٤.

(٣) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في كتاب الصلاة، باب: ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، ص ١٩٨، رقم ٤٧٧.

الحمد على كل الأحوال:

والحمد لله ـ تعالىٰ ـ يكون علىٰ جميع الأحوال ـ كما سبق ـ بخلاف الشكر، ولما قبض الله روح أحد أصفياء المؤمن قال الله لملائكته: «أقبضتم فلذة كبده؟! قالوا: نعم. قال: أقبضتم ثمرة فؤاده؟! قالوا: نعم. قال: فما فعل عبدي؟! قالوا: حمدك واسترجع. قال: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد»(١).

فالله ـ عز وجل ـ يُحمَد في كل حال، حتىٰ عند نزول المصيبة ووقوع الضرر والسوء.

وبعض الناس يقول عند المصيبة: (الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه)، وهذه الجملة يعتريها الخطأ والنقص من جهتين:

الأولى: أن هذا الوصف لا يختص به الخالق ـ تعالىٰ ـ؛ إذ هناك مِن الخلق مَن يُحمد علىٰ المكروه منه، فالابن العاقل اللبيب إذا أدبه أبوه بما يكره ويؤلم؛ يحمد أباه علىٰ ذلك، وكذلك المتربي العاقل مع أستاذه(٢).

الثاني: أن إضافة المكروه إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ بالتصريح ليس هو الأكمل أدباً، بل الذي ينبغي أن يقال: الحمد لله علىٰ كل حال. وقد ورد ذلك في السنة، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان ﷺ إذا رأىٰ ما يحب قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»، وإذا رأىٰ ما يكره قال: «الحمد لله علىٰ كل حال»(٣).

---

(١) رواه الترمذي عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، في الجنائز، باب: فضل المصيبة إذا احتسب، ص ٢٤٧، رقم ١٠٢٠، وابن حبان في صحيحه، ٧ / ٢١٠ وغيرهما، وقال الألباني ـ رحمه الله ـ: «فالحديث بمجموع طرقه حسن علىٰ أقل الأحوال»، السلسلة الصحيحة، ١٤٠٨.

(٢) استفدتها من الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله.

(٣) رواه ابن ماجه، في كتاب الأدب، باب: فضل الحامدين، ص ٥٤٣، رقم ٣٨٠٣، وله شواهد ذكرها الألباني ـ رحمه الله ـ في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥.

فائدة متممة لما سبق: من أسلوب التلميح لا التصريح في نسبة تقدير السوء إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ=

واسم الله ـ تعالى ـ: دال على الألوهة، وهي: العبادة، فالله هو المألوه المعبود الحق محبةً وتعظيماً، وسبق تفصيل معناه في البسملة، وإن كان هذا هو محله الأرجح، ولكن ألحق بالبسملة لكونها آية مستقلة من القرآن كله، وأول ورود لها في الفاتحة، أو على أنها آية منها على قول مرجوح.

ففي هذه الجملة إثبات استحقاق الله لجميع أوجه الحمد وأنواعه، ولتعليل ذلك ذكر الله ـ تعالى ـ بعض النعوت وهي:

السبب الأول: أنه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والتربية هي: تبليغ الشيء إلى كماله تدريجاً، وقيل في معنى الربوبية هنا: هي موالاة خيره عليهم، وإسداء نعمه التي لا تحصى، وقيل: هي بمعناها العام وهو: الخلق والملك والتصرف، ورجح بعضهم الأول؛ لئلا يتكرر ذكر الملك مع قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1].

وربوبية الله لخلقه على نوعين:

الأولى: ربوبية عامة لجميع الخلق.

والثانية: ربوبية خاصة للمؤمنين، معناها: التربية والتوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، وتجد أدعية الأنبياء وأتباعهم مفتتحة بقولهم: ربنا[2].

و ﴿الْعَالَمِينَ﴾: جمع عالَم، وهو جنس من أجناس الموجودات، والعوالم كثيرة، منها على وجه الإجمال: عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم النبات، وعالم البحار.

= مقدر كل شيء؛ قول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، وقول الخليل ﷺ فيما أخبر الله عنه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، وقول الخضر: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال عن إصلاح الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾، وقال عن كل فعله السابق: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١ / ١٦٦.

(٢) انظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص ٣٩.

فالعالمون إذن: كل من سوىٰ الله ـ تعالىٰ ـ، أو كل المخلوقين.

ومما يدل علىٰ عموم العالمين، جواب موسىٰ لما ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٤].

وقد علل بعض العلماء تسمية هذا النوع من الخلق بأنه عالَم؛ لأنه عَلَمٌ علىٰ خالقه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ(١).

وسبب القول باستغراق العالمين لجميع الخلق؛ لأن كل الخلق يربّيهم الله ـ تعالىٰ ـ، فلا يخرج منهم أحد عن هذا الوصف(٢).

وكل مربوب فهو ضعيف إلىٰ ربه، محتاج إليه غاية الحاجة، لا يستغني عن ربه طرفة عين، وكل الخلق مربوبون له ـ سبحانه ـ، فكيف يكون أحدٌ أحق بالحمد منه؟!

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، ١ / ٦٦، طبعة المغرب، ونقله عن الزجاج، وعزاه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، للخليل، ١ / ١٣٩.

(٢) وقد ترد كلمة: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ في القرآن والمراد بها بعض الخلق لا كله، كقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]، [التكوير: ٢٧] فهم الثقلان؛ لأنهم المكلفون بالعمل بالقرآن، وقوله عن بني إسرائيل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]؛ أي: في زمانهم، أو إلىٰ ما قبل أمة محمد ﷺ، وقد يراد بالعالمين الإنس، كقول لوط ﷺ لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

الآية الثانية: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

ذكر الله ـ سبحانه ـ هنا: السبب الثاني والثالث لاستحقاقه الحمد كله، فنعمة الله بربوبيته لخلقه وإفضاله عليهم؛ جارية على وجه الرحمة والرفق واللين واللطف، لا على وجه الشدة والأذى والحرج، ومن ذلك الأحكام الشرعية، فالحرج فيها مرفوع، وهي مبنية على اليسر.

وسبق ذكر معنى الاسمين الجليلين، فالرحمن: يدل على وصف ذاته ـ تعالى ـ، والرحيم: يدل على الرحمة المتعلقة بفعله، ورحمته ـ سبحانه ـ وسعت كل شيء: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، مع كمال قوته وقهره، وكمال غناه وعزته ـ سبحانه وتعالى ـ.

وهذه الصفات الماضية: الربوبية ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والرحمة ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ فيها ترغيب للعبد، أتبعها الله ـ تعالى ـ بالترهيب من الطغيان، والتخويف من التجاوز للشرع بالآية التي بعدهما: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

[الفاتحة: ٤].

وذكر بعض العلماء أن الآيات الثلاث الأولى فيها أركان العبادة، وهي: المحبة في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والرجاء في قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، والخوف في قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١].

---

(١) انظر: العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بشرح الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، حاشية ص ١٣٩.

الآية الثالثة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(١)

وفيها ذكر السبب الرابع لاستحقاق الله الحمد كله: أنه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أصل كلمة الملك تعود إلى معنى: الشد والضبط والربط(٢)، فهو يوم منضبط بحكم الله وحده لا يتنازع ضبطه أحد.

والدّين في هذا السياق: معناه الجزاء بالعدل والقسط، مجازاة المكلفين من جنس كسبهم الصالحات أو السيئات، يدان الناس بأعمالهم بالقسط والعدل، فيثاب المطيع المحسن، ويعاقب العاصي المسيء، ويقتص للمظلوم من الظالم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، وقال: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]، وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

ولو كان الخلق بلا بعثٍ ولا حسابٍ ولا جزاءٍ؛ لكان هذا أمراً مذموماً غير محمود؛ لأنه عبث، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ – ١١٦].

بل إن كل الدواب بل حتى الطيور ـ مهما صغرت ـ يبعثها الله عز وجل؛ ليعدل بينها، فيقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ

---

(١) في هذه الآية قراءتان سبعيتان: قرأ عاصم والكسائي: ﴿مَالِكِ﴾ وقرأ الباقون: ﴿مَلِكِ﴾، [انظر: كتاب السبعة، لابن مجاهد، ص ١٠٤]، ومعناهما متقارب، ويمكن حمل قراءة: ﴿مَلِكِ﴾ على أنها صفة للذات، وقراءة ﴿مَالِكِ﴾ على أنها صفة للفعل، [انظر: فتح القدير، للشوكاني، ١ / ٢٢]، فيكون مشابهاً لمعنى ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من حيث الذات والفعل، والقراءتان دالتان على كمال التصرف، ولما أضيفا إلى ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ فقد استويا في إفادة كمال تصرفه ـ تعالى ـ في اليوم الآخر، انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١ / ١٧٥.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، ١ / ٦٨.

فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لَتُؤَدُّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء»(١).

فلله ـ تعالى ـ الحمد على تقديره البعث والجزاء للخلق كما قال: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١]، وقال: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]، وبعد الفصل بين الخلائق يقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، فالقائل غير مخصوص فيعم الخلق كله(٢).

وقد فسّر ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ بما يحدث فيه: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧ – ١٩]، ففي يوم القيامة ليس لأي شخص مهما كان قربه من الله ـ تعالى ـ أي نوع من أنواع التصرف والملك، بل كل الأمر والحكم لله، قال النبي ﷺ لابنته ـ رضي الله عنها ـ: «يا فاطمة بنت محمد: سليني من مالي ما شئتِ، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً»(٣).

وإثبات الملك المطلق لله ـ تعالى ـ للزمان وهو اليوم؛ ليشمل كل ما يكون فيه؛ لأن ملك الزمان أصعب شيء، فمن ملك الزمان فملكه لما فيه من باب أولى(٤).

وهذا داعٍ قوي ليتعلّق المكلف بخالقه فيخلص له العبادة؛ حتى ينجيه الله،

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، ص ١١٣٠، حديث ٦٥٨٠، وذكر محمد فؤاد عبد الباقي ـ رحمه الله ـ: أن هذا القصاص ليس قصاص تكليف، بل هو من باب المقابلة والعدل.

(٢) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ٤ / ٧٧.

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟. ص ٤٥٥، رقم ٢٧٥٣.

(٤) انظر: حاشية محيي الدين شيخ زاده، على تفسير البيضاوي، ١ / ٣٧.

ولا يتعلق بغيره من أولياء الله الذين يشفعون كالأنبياء والملائكة والصالحين، ولا بالأعمال الصالحة التي تشفع كقراءة القرآن والصيام؛ لأنهم لا يملكون الشفاعة، بل الذي يملكها هو الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، ولما سأل أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ النبيَّ ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «. . . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» أو «نَفْسِه»(١).

وفي ذكر اليوم الآخر ترهيب من الله لعباده، بعد الترغيب الماضي؛ ليكون العبد بين الرجاء والخوف، وليأخذ حذره ويحتاط ويستعد؛ لئلا تستزله نزواته وشهواته فيغفل عن هذا اليوم الذي وقوعه يقين، وما فيه إلا الجزاء بالقسط والعدل.

وقد يقع للمتأمل في هذه الآية تساؤل: لماذا حصر الملك بالقيامة؛ مع أنه ـ سبحانه ـ ملك الدنيا والآخرة؟ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النجم: ٢٤ - ٢٥]، وقال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾ [الليل: ١٣].

وللجواب عن هذا التساؤل أوجه؛ منها:

ـ أنه سبق ذكر الربوبية العامة المطلقة في زمنها فتشمل الدنيا والآخرة؛ وذلك في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فهو المالك لهم المتصرف فيهم مطلقاً في جميع الأزمان.

ـ ثم إن الدنيا لا يجتمع فيها الخلق دفعة واحدة في زمن واحد، بل الأمم يرث بعضها بعضاً.

ـ والدنيا أيضاً لا يجتمع فيها الخلق على الدوام، فاجتماعها منتهٍ زائل، أما

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث، ص ٢٢، حديث رقم ٩٩.

الآخرة فهي مدد غير منتهية؛ إذ هو اليوم الآخر الذي لا يوم بعده.

- ثم في اليوم الآخر يظهر الملك الخاص جلياً باجتماع الخلق وإجماعهم، وفيه يقول الله - تعالى - للخلق: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيب أحد، ثم يجيب - تعالى - نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وفي الآيات الثلاث الماضية يعلمنا الله - عز وجل -: كيف نحمده؟ وكيف نثني عليه؟ وكيف نمجّده؟ فالحمد ذكر المحمود بصفات الكمال مع المحبة والرضا بالمحمود، فإذا كرّر الحمد صار ثناءً، فإذا ذكرت صفات العظمة والجلال صار تمجيداً(١).

والله - سبحانه - يناجي العبد إذا قرأ في الصلاة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ فيقول الله: حمدني عبدي. وإذا قرأ العبد: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ يقول الله: أثنى علي عبدي. وإذا قرأ العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ يقول الله: مجّدني عبدي. فهل نحن نستشعر حمدنا وثناءنا وتمجيدنا حين نقرأ في صلواتنا؟! ثم هل نحن نستشعر ونستحضر جواب الله - سبحانه - لنا؟!(٢)

---

(١) انظر: الحديث القدسي في سورة الصلاة ص ١٧ من هذا الكتاب، وترتيب القاموس المحيط، م ج د، ٤/ ٢٠٤، مجّده: عظمه وأثنى عليه.

(٢) استحسن ابن القيم - رحمه الله - الوقوف على الجمل الماضية؛ استحضاراً لمناجاة الله لعبده في هذا الحديث. انظر: بدائع التفسير، ١/ ١١١ - ١١٢، والوقوف على رؤوس الآي ثابت في السنة، فيزداد هنا تأكيداً - والله أعلم -.

الآية الرابعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(*)

بعد الثناء بأحسن الصفات على الله - تعالى -، أعقبها العبد - كما علمه الله - بأحسن ما ينبغي له تجاه ربه وإلهه الموصوف بهذه الصفات الحسنى، والتي لا يشابهه فيها أحد، فتوجه له بالعبادة وطلب منه الإعانة عليها، وهذا توسل بالعبودية والتوحيد بعد أن توسل بالأسماء الحسنى والصفات العلى لله الحميد، وهذان التوسلان لا يكاد يُرد معهما الدعاء(١).

الفرق بين عبادة الاختيار وعبادة الاضطرار:

وهذه العبادة الماضية التي يقولها العبد ويسأل ربه إياها؛ عبادة اختيار ومشيئة من العبد، وهي العبادة التي يحصل عليها الثواب، فهو عبد (متعبِّد)، وهذه العبودية متعلقة بالألوهية. وهناك عبادة اضطرار لا تنفك عن المخلوق بحال، حتى الكافر موصوف بها، ومعناها تمام ملك الله للمخلوق وتصرفه فيه(٢)، فهو عبد (مُعَبَّد)، وهذه العبودية متعلقة بالربوبية.

ومن عبادة الاختيار قوله - تعالى - : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢، والإسراء: ٦٥].

ومن عبادة الاضطرار قوله - تعالى - : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر:

(*) فائدة: هذه الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وردت على صيغة المخاطب بعد أن كان أول السورة بصيغة الغائب، ويسمى هذا الأسلوب الالتفات؛ ومن فوائده تنويع الأساليب لإظهار كمال الفصاحة والبيان، وكأن العبد لما حمد ربه وأثنى عليه ومجَّده قربه إليه وأدناه، فصار الأسلوب فيه غيبة إلى حضور. والله أعلم.

(١) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ١٣٠.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٤ / ٢٩ - ٣٠. والعبودية له أيضاً بشرح الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله الراجحي، ص ٢٢ - ٢٨.

٣١]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ [مريم: ٩٣] ، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [الرعد: ١٥] ، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] ، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، فالسجود والقنوت معناه الذل والخضوع القهري(١).

العبادة الشرعية دليل المحبة الصادقة:

وعبادة الله دليل على محبة العابد الصادقة لله عز وجل، ولا تصح عبادة إلا بموافقة ومتابعة محمد ﷺ؛ ولذلك قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] .

ومن ادَّعى المحبة وأظهر المعصية فدعواه كاذبة، أو ناقصة على حسب معصيته، كما قال الشاعر:

تعصي الإلهَ وأنت تُظْهر حُبَّه ... هـذا محالٌ في القياس بديعُ

لو كان حبُّك صادقـاً لأطعتَه ... إن المحـبَّ لمن يُحـبُّ مطيـعُ

في كلِّ يـوم يبتديكَ بنعمـةٍ ... منه وأنتَ لشكـر ذاكَ مضيعُ (٢)

فكل متبع لشريعة الله، مؤتمر بأمره وأمر رسوله ﷺ، لا متبع لهوى؛ فهو المحب الحق، وأما غيره فكاذب في محبته.

واجتمع الحمد والشكر هنا: فالحمد والثناء والتمجيد بالقلب واللسان، والشكر بالجوارح واضح بالعبادة الشرعية التي يقوم بها العبد.

دلالة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على التوحيد والتبرؤ من الكبر:

وهذه الآية منقسمة بين العبد وربه ـ كما في الحديث القدسي ـ ، وللعبد ما سأل.

ففي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تخلٌّ عن الشرك، وتحلٌّ بالتوحيد، وتبرؤ من الشرك والرياء؛ حيث حصر الداعي عبادته لله وحده دون غيره، ودليل ذلك تقديم

---

(١) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ٢٠٦ ـ ٢٠٩.

(٢) القائل هو: محمود الوراق، وينسب للشافعي، الآداب الشرعية، ١ / ١٧٩.

الضمير والخطاب ﴿إِيَّاكَ﴾.

وفي قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تخلٍّ عن استغناء العبد، وتبرؤه من الحول والقوة والكِبْر، واعترافه الضمني بعجزه وضعفه وقدرة خالقه وحده؛ حيث حصر استعانته بالله وحده دون غيره.

و ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حَوَتْ معنى شهادة التوحيد نفياً وإثباتاً، وهي متعلقة بتوحيد الألوهية، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ متعلقة بتوحيد الربوبية[1] الدال على كمال ملك الله وكمال تصرفه، وعجز جميع خلقه عن فعل ما يريدون إذا لم يُعنهم بتقديره، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وأفادت ﴿إِيَّاكَ﴾ الحصر؛ لتقدمها، فلا يجوز العطف عليها بشيء آخر، أما لو قيل: نعبدك، لجاز العطف عليها، وحينئذ لا تكون دالة على التوحيد.

ويقرب معنى هذه الآية من قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، فالمتوكل على الله مستعين بالله.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وكثيراً ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء»[2].

في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ رد على الجبرية والقدرية:

وفي قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ رد على الجبرية. وهم الذين يقولون: إن العبد ليس له إرادة ولا مشيئة ولا فعل بل هو مثل الريشة في مهبّ الريح. ووجه الرد عليهم أن فاعل العبادة في الآية هو العبد؛ فأضيف فعل العبادة إليه. وفي قوله: ﴿نَسْتَعِينُ﴾ رد على القدرية. وهم الذين يقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه بدون إرادة الله ـ تعالى الله ـ. ووجه الرد عليهم أن استعانة العبد في الآية تدل على أن مشيئة العبد غير نافذة إلا بإذن الله ـ تعالى ـ، فلولا معونة الله ـ تعالى ـ لعبده لما تمكن من العبادة، فالفعل من العبد، والإقدار والإعانة من الله[3].

---

(١) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ١١٠، ١٧٧.
(٢) المرجع السابق، ١ / ١٥٧.
(٣) المرجع السابق، ١ / ١٠٧.

معنى العبادة لغة وشرعاً:

أصل معنى العبادة عند العرب: الذلة، فقولك: طريق معبّد؛ أي: مذلّل أزيل منه ما يعيق المارة، على أن الطرق في تعبيدها على درجات، فكلما ازداد الطريق تعبيداً ازداد الناس فيه رغبة، وهكذا العبد عند خالقه ـ سبحانه تعالى ـ كلما ازداد لله تذللاً وتعبداً بالمشروع؛ زادت محبة الله له، وزاده تشريفاً بقدر ذلك.

والعبادة في الشرع: اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[1].

وهذا تعريفٌ شاملٌ تدخل فيه الأعمال القلبية الباطنة؛ مثل:

ما أمر الله به من مثل: المحبة، والبغض، والتوكل، والخوف، والرجاء، وما نهى عنه من مثل: الكبر، والرياء، والعجب، والحسد، والغفلة، والنفاق، والخيلاء، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والفرح والسرور بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم...

وتدخل مفهومَ العبادة الشامل أعمالُ الجوارح الظاهرة؛ مثل:

أعمال اللسان المأمور بها: كالشهادتين، وتلاوة القرآن، وأذكار الصلوات، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، وترك المنهي عنه من القول، وهو كل ما يبغضه الله: كالقول على الله بلا علم، والنطق بالبدعة، والقذف، وسب المسلم، والكذب، وشهادة الزور، وما لا خير فيه.

والذوق منه المشروع، كذوق الطعام الذي هو مضطر إليه، والدواء الذي يخاف بتركه الهلاك، وأكل ما يعين على الطاعة من المباح، والأكل مع الضيف، وطعام دعي إليه، ومنه ما يحرم: كذوق الخمر، والسم القاتل، وحال الصوم

---

(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ٥/ ١٥٥.

الواجب، ويجتنب ذوق المشتبهات، والأكل فوق الحاجة.

وأعمال الأُذُن المأمور بها من مثل: السمع والإنصات لما أوجبه الله ورسوله من شرائع الإسلام والإيمان، واستماع جهر الإمام بالقراءة في الصلاة، واستماع خطبة الجمعة. وترك سماع الكفر والبدع - إلا إن كان في استماعه مصلحة راجحة كالرد عليه، أو الشهادة على قائله -، وكاستماع الغناء، والمعازف، وآلات الطرب، وكاستماع سر الشخص المسر بكلامه لغيرك، ما لم يكن في المسر به ضرر - كأذى المسلم -، وسماع أصوات النساء التي تُخشى الفتنة من سماع أصواتهن، ما لم تدع حاجة لذلك - كاستفتاء، وحكم، وشهادة -.

وأعمال العين: كالنظر في المصحف، وكتب العلم النافع، أو النظر لتمييز الحلال من الحرام فيما يأكل، أو يستمتع به، أو ما يميز به أمانات كانت عنده لأربابها، والنظر إلى آيات الله في مخلوقاته. ويجتنب النظر المنهي عنه: كالأجنبيات إلا لحاجة: كخِطبة، ومعاملة، وشهادة، وحاكم، وطبيب، ومحرم، ويجتنب النظر إلى العورات التي وراء الثياب، أو الأبواب.

والشَّمُّ: منه المشروع كقصد التمييز بين الحرام والحلال، وشَمّ ما يعين على الطاعة، ويقوي الحواس، ويبسط النفس للعلم والعمل، ومن ذلك قبول هدية الريحان. ومنه ما ينهى عنه: كشَمّ الطيب حال الإحرام، وشَمّ المغصوب، والمسروق، وشَمّ طيب النساء الأجنبيات؛ ليفتتن بما وراءه.

واللمس المشروع كلمس الزوجة والأمة؛ لإعفاف نفسه وإعفافها. ومنه المنهي عنه: كلمس الأجنبيات، ويكره له لمس زوجه بشهوة حال الإحرام أو الاعتكاف، وحال الصيام الواجب - إن خاف فساده -، ولمس الفخذ على القول بأنه عورة.

وأعمال اليد والرجل: منه المشروع كالاكتساب للنفقة على النفس والعيال، ولقضاء الدين، وأداء الحج، وإعانة المضطر، ورمي الجمار، ومباشرة الوضوء

والتيمم، وكتابة العلم النافع، وما فيه إحسان إلى الخلق، ولمس الركن في الطواف، وتقبيل الحجر، والمشي إلى الجمع والجماعات، والطواف، والسعي بين الصفا والمروة، والمشي إلى حكم الله ورسوله إذا دعي إليه، ولصلة الرحم، ولبر الوالدين، ولمجالس العلم. ومنه المنهي عنه: كقتل النفس المعصومة، ونهب المال المغصوب، وضرب من لا يحل ضربه، واللعب بالنرد، والشطرنج، وكتابة البدع، والزور، والظلم، والجور، والقذف، والتشبيب بالنساء الأجانب، وما فيه مضرة على المسلمين في الدين أو الدنيا، وما فيه معصية الله.

والركوب على الراحلة منه المشروع: كالركوب للغزو والجهاد، والحج، وطلب العلم، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وفي عرفة - إن لم يكن ضرر عليه أو على المركوب - . ويجتنب الركوب إلى معصية[1].

فيا ويح من يكذب على ربه وهو يناجيه فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وإنما هو يقصد غيره بالعبادة، يتعهد لربه ويناجيه لا أعبد إلا أنت وهو خائن لعهده! إلا أن يقصد بكلامه الدعاء والطلب للتوفيق والإعانة[2]، وحمله على ذلك في التفسير ضعيف.

فالعبادة كلها يجب أن تكون لله - تعالى - ، والاستعانة نوع من أنواع العبادة، فلا تكون الاستعانة إلا بالله - فيما لا يقدر عليه إلا الله - ، والاستعانة تتضمن اعتراف العبد بالعجز والضعف، لمن له تمام القدرة والقوة - سبحانه وتعالى - ، فكلّ مؤمن موفق فهو معترف بفضل الله عليه؛ حيث وفّقه لعبادته، وأعانه عليها.

---

(١) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ٢١٠ - ٢٢٣، فقد ذكر أنواع العبادة وقسمها إلى الأحكام الخمسة، وأتيت ببعضها اختصاراً، وقد يكون في الاختصار إخلال، فارجع إليه فإنه نفيس.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ١٤ / ٨.

لماذا قدمت العبادة على الاستعانة في هذه الآية؟

تعددت الأقوال في ذلك[١]:

وأوجهها: أن الفاتحة نصفان: نصف لله، ونصف للعبد، كما في الحديث القدسي الماضي، فقدمت العبادة لتناسب ما لله؛ تأدباً مع الله، وأُخِّرت الاستعانة لتناسب ما للعبد.

وقيل: لأن العبادة غاية، والاستعانة وسيلة إليها، والغاية أولى من الوسيلة.

وقيل: لأن العبادة متعلقة بالألوهية، والاستعانة متعلقة بالربوبية، والألوهية أسبق في السورة في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢].

وقيل: لأن العبادة تتضمن الاستعانة فهي أعم، ولا يلزم من الاستعانة عبادة، فقد يستعين صاحب الشهوة والفجور بالله على شهوته وفجوره، فقدم الفعل الذي لا يكون من العبد إلا عملاً صالحاً، على ما يكون صالحاً حيناً، وسيئاً حيناً.

وقيل: لأن العبادة أنسب للجزاء ويوم الدين؛ وهذا ورد في الآية السابقة، والاستعانة أنسب لطلب الهداية؛ وقد وردت في الآية اللاحقة.

أيهما يقع أولاً من المكلف: العبادة أم الاستعانة؟

هذا سؤال يحلّ شيئاً من تعليل تقديم العبادة على الاستعانة في الآية، والصحيح أنه لا يسبق أحدهما الآخر في الوقوع، بل هما متلازمان، لا يمكن وقوع أحدهما قبل الآخر مطلقاً، فالعبادة لا تقع إلا بالاستعانة بالله، والاستعانة عبادة لا يجوز طلبها من غير الله - إذا كانت لا يقدر عليها إلا الله -، فهي آية

---

(١) انظر على سبيل المثال بعض الأقوال في بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ١٧٧ - ١٧٨.
(٢) هذا على القول الصحيح بأن البسملة ليست آية من آيات الفاتحة، كما تقدم في ص ١٦ - ١٨.

تتحدث عن العبادة عموماً، وجاء التمثيل على نوع مهم منها وهو الاستعانة؛ ليفيد الاهتمام.

وقفة مع وظيفة العبادة:

العبادة أشرف المنازل والوظائف للمكلفين من الجن والإنس، بل لجميع الخلق من الملائكة وسائر الخلق؛ يدل على ذلك أن الله ـ تعالى ـ يصف أفضل خلقه محمداً ﷺ في مواطن التعظيم والتشريف بالعبودية، قال ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ولم يقل: خليلنا، أو نبينا، أو خاتم رسلنا، ونحو ذلك.

والسؤال المهم هنا: لماذا كانت العبادة أشرف المنازل؟

والجواب: أن الحكمة من خلق الإنس والجن هي العبادة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا قام المكلف بما خلق من أجله فقد شرف وكمل. ويقابل العبادة: الاستكبار والشرك، فمن اتصف بشيء من ذلك فقد عرض نفسه للعذاب والسخط، وفاته الشرف والكمال؛ لأنه لم يقم بوظيفته التي لأجلها خلق.

ولتقريب هذا المعنى إليك أمثلة دنيوية:

إنسان اشترى سيارة غالية وتعطلت منافعها، فهل هذه السيارة شريفة، أو السيارة القديمة الرخيصة التي تنقل صاحبها؟!

اشترى شخص قلماً جميلاً لا يكتب، فهل هذا القلم أشرف ـ وهو لا يعمل ما صنع له ـ أو القلم الذي يكتب به صاحبه، ولو كان أقبح شكلاً، وأرخص ثمناً؟!

لو اشتريت حذاء وعلقته على الجدار، فهل الحذاء الجميل المرفوع أشرف، أو الحذاء الرخيص الملبوس في القدم؟!

لو أن جهاز التكييف المرفوع في جدار مجلسك متعطل، ما منزلته مع مكيف آخر على الأرض يعمل؟!

خلق الله الإنس والجن لوظيفة واجبة لا تجوز معها البطالة، وهذه الوظيفة (وهي العبادة) جُعلت الحكمة الأساسية من الخلق، ولكن الكثير من الخلق يتركها ليؤدي غيرها؛ طلباً لشرف ومنزلة ومكانة موهومة!! كيف يدرك الشرف؟ أيبحث عن الشرف وقد تركه، ويهرب من الذل وقد أدركه؟!

إن الشرف الحقيقي في التوفيق للوظيفة الواجبة، وهي التي يسأل العبد ربه أن يوفقه إليها في كل ركعة من صلواته، و ربه الرحيم به ـ سبحانه ـ الذي علمه ذلك، فاللهم يا من مدحه زين، وذمه شين[1]: وفقنا لتحصيل مدحك لنا، وجنبنا ما يوصلنا لذمك لنا، يا حي يا قيوم!

معنى الاستعانة بين الخلق، ومعناها بين الخلق والخالق:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، الاستعانة بين الخلق معناها: طلب التسهيل والمعونة في فعل يشق ويعسر على الشخص وحده، أما الاستعانة هنا: فهي بين المخلوق وخالقه، فإن العبد ليس له قدرة مستقلة توصله إلى ما يريد بدون عون الله؛ لأن مشيئة العبد تابعة ولا تنفذ إلا بموافقة مشيئة الله ـ تعالى ـ، ومشيئة الله هي الحاكمة المحيطة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الإنسان: ٢٩ - ٣٠]، وقال: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

---

(١) ورد في سبب نزول قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]: أن الأقرع بن حابس ـ رضي الله عنه ـ قال: ألا إن حمدي زين، وإن ذمي شين. فقال ﷺ: «ذاك الله ـ عز وجل ـ»، رواه أحمد، ٣/ ٤٨٨، وهو منقطع، وله شاهد عند الترمذي عن البراء في كتاب التفسير، سورة الحجرات، برقم ٣٢٦٧، ص ٧٤٣، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، ٦/ ٤٦٦، برقم ١١٥١٥، وابن جرير، ١١/ ٣٨١. انظر: تحقيق مسند الإمام أحمد، ٢٥/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠، وإن كان الحديث فيه لين، فمعناه صحيح، والله أعلم.

والاستعانة المطلوبة هنا: تشمل كل ما يريد العبد فعله من أمور مشروعة في الدين والدنيا؛ لسعة مفهوم العبادة في الشرع - كما تقدم -، قال ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما -: «وإذا استعنت فاستعن بالله»(١)، وأوصى ﷺ حِبَّه فقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك! أوصيك يا معاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(٢).

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أنفع الدعاء:

وهذه الآية تشتمل على أنفع الدعاء وأجمعه، قال ابن تيمية - رحمه الله -: «تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»(٣).

ويدل على أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ نصفها ثناء ونصفها الآخر سؤال ودعاء: ما رواه ﷺ عن ربه - تعالى - في الحديث القدسي: «هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»(٤)، فالثناء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والدعاء: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله، وتيسير أسبابه»(٥).

فيا له من دعاء جامع للأدعية! وكل دعاء مشروع فهو راجع إليه!

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب: حديث حنظلة، ص ٥٧٢، رقم ٢٥١٦، وأحمد، ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، والحاكم في المستدرك، في كتاب معرفة الصحابة، ٣/ ٥٤٢، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ١٣١٨.

(٢) رواه أبو داود بلفظه عن معاذ رضي الله عنه، في كتاب الصلاة، باب: في الاستغفار، ص ٢٢٥، رقم ١٥٢٢، وبنحوه النسائي في كتاب الصلاة، باب: نوع آخر من الدعاء، ص ١٨٢، رقم ١٣٠٤، وأحمد، ٥/ ٢٤٤، والحاكم، ١/ ٢٧٣، وغيرهم، وذكره الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ١٣٢٠.

(٣) نقله ابن القيم عن شيخه - رحمهما الله -، بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١/ ١٨٠.

(٤) سبق تخريجه، ص ١٧.

(٥) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١/ ١٨٠.

والناس في العبادة والاستعانة أربعة أصناف:

الأول: العبد الحق، وهو من يجمع بين العبادة والاستعانة؛ كما جمعا في الآية، فلا يهمل أحدهما على حساب الآخر.

الثاني: من تغلب عليه العبادة، ولكنه يُقصِّر في الاستعانة والتوكل، فيصير عاجزاً أو مفرطاً، فيجزع كثيراً لما أصابه، ويحزن كثيراً لما فاته، ويجهل كثيراً من أحكام وحِكَم القضاء والقدر، أو يتعلق بالمخلوقين، ويستعين بهم، ويركن إلى قوتهم، ومددهم.

الثالث: من يغلب عليه الاستعانة والتوكل، ولكنه يُقصِّر في العبادة، ويفرط في مراعاة الشرع والأمر والنهي والألوهية، ويراعي ويستحضر القضاء والقدر والربوبية، ولا يستحضر الشرع والأمر والنهي والألوهية.

الرابع: من يُقصِّر فيهما معاً، ففي أمر الدين: يعبد غير الله، ويستعين بغيره، وفي أمر الدنيا: يطلب ما يريد من الدنيا قاصداً إياها، يطلبها متعلقاً بالأسباب دون مسببها[1].

فائدة الجمع بين العبادة والاستعانة للعبد:

وقد وعد الله من جمع بين العبادة والاستعانة المخرج من ضيق الدنيا والآخرة، والرزق من حيث لا يحتسب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، فالتقوى هي العبادة، والتوكل هو الاستعانة[2].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ١٤/ ١٠ـ١٢.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ١٦/ ٥٢ـ٥٦، فائدة: هذه الآية تدل على أن المتقي يُرزق ولا تدل على أن غيره لا يرزق بل كل الخلق مرزوقون، كما قال: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، ولكن المتقي يحفظه الله في رزقه، فيكون حلالاً طيباً في الدنيا، ولا يلحقه في هذا الرزق نقص في العبادة، ولا إثم ولا حرج في الآخرة، وذلك على حسب تقواه.

الآية الخامسة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

هذا دعاء صريح بأهم ما يحتاجه العبد، بل هو مضطر إليه غاية الاضطرار، يرفع العبد حاجته إلى ربه معترفاً بعجزه وضعفه وجهله، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقاصداً دفع الكبر والعناد عند سماع الحق[١]، ومعترفاً بأن المدعو وحده ـ سبحانه ـ هو المعين والموفق والميسر، ويستحضر في دعائه الرغبة بالتحلي بالرشد والهداية، وأن يكون حاله في الدعاء متضرعاً كما أمره الله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

الهداية لغة وشرعاً:

الهداية في اللغة: ضد الضلالة، فهي بيان ورشاد بتلطف ورفق[٢].

وفي الشرع تطلق على نوعين مشهورين:

النوع الأول: الدلالة والإرشاد، وهي تقع من الخالق والخلق، فالله ـ تعالى ـ يهدي؛ أي: يدل ويرشد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧][٣].

وتقع من الرسل والصالحين، قال ـ تعالى ـ عن رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال ﷺ: «لأن يُهدَىٰ بك رجلٌ واحدٌ خيرٌ

---

(١) قال ﷺ في تعريف الكبر: «الكبر: بطر الحق، وغمط الناس» رواه مسلم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، ص ٥٤، رقم ٢٦٥.

(٢) ويشكل على اللطف في الهداية قوله ـ تعالى ـ عن الكفار: ﴿مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، وأجيب بأن هذا للتهكم. انظر: روح المعاني، ١ / ١٥٢، ولابن القيم توجيه آخر لهذه الآية: أن الهداية هنا إلى الغاية إما الجنة وإما النار، وسيأتي بعد قليل ـ إن شاء الله ـ.

(٣) انظر: الاستدلال لنوعي الهداية، في أضواء البيان، للشنقيطي، ٤ / ٣٩٩، سورة فصلت، آية ١٧.

لك من حمر النعم»[١].

والقرآن ـ وهو الآيات الشرعية ـ يهدي ويبين ويوضح: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

والنظر في الآفاق ـ وهو الآيات الكونية ـ، وكذا النظر في الأنفس يهدي ويدل ويرشد: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

بل تقع هذه الهداية من جماد: كالكتاب الورقي والمرئي، والشريط السمعي والبصري.

والمقصود بهداية الدلالة والإرشاد عامة: التعريف بالخير وتبيينه، سواء فعل المدعو الخير أم ترك، فهذه الهداية شرط للنوع الثاني من الهداية لا موجبة لها، والشرط يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، فإن وجدت هداية الدلالة والإرشاد ولم توجد هداية التوفيق والإلهام لم يحصل الاهتداء المستوجب للثواب.

النوع الثاني: هداية التوفيق والإلهام، وهي خاصة بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وعليها يحمل قوله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وهذه الهداية المنفية عن الرسول ﷺ هي التي تستلزم الاهتداء والثواب ولا يتخلف عنها.

وليس للخلق في هداية التوفيق والإلهام نصيب قط، إنما عليهم ما على

---

(١) رواه البخاري بلفظه عن سهل بن سعد رضي الله عنه، في كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة...، ص ٤٨٧، رقم ٢٩٤٢، ومسلم بنحوه في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص ١٠٦٠، حديث ٦٢٢٣.

الرسل: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

والمقصود بهداية التوفيق والإلهام قذف الإيمان في القلب، وقبول القلب له وعمله به، فالله ـ تعالىٰ ـ هو الذي يشرح صدر المكلف للإيمان، وللعمل بشرائع الإسلام بفضله ورحمته، وهو الذي يضل عن الإيمان، ويضيق صدر المكلف فلا يستسيغ الشريعة عدلاً منه وحكمة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]، وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وتستطيع أن تقول: إن هداية التوفيق والإلهام خاصة بالله تعالىٰ، سواء كان ذلك في أمور الناس الشرعية أم الدنيوية، فهما علىٰ حدٍّ سواء.

ففي الأمور الشرعية: قد يدعو الداعي إلىٰ أداء الزكاة، ويبين حسنها، وبركتها، وخيرها في الدنيا والآخرة بكلام واضح بيِّن، فإنه يستجيب لهذا من أراد الله له الخير، ويعرض عنه سواه.

وفي الأمور الدنيوية: تنصح قائد السيارة بأن يمشي علىٰ رِسْله وهَوْنه، وتبين له فوائد ذلك، بأحسن كلام، وأوضح بيان، ولكنه مع وضوح ما دعوته إليه، لا يرعوي لما تقول، ولا يعمل به.

وقد يكون هناك عمل ناجح جداً، فتنصح من تحب نصحاً مخلصاً، وتفاجأ أحياناً بعدم رغبة من تكلم في هذا الأمر بتاتاً، فلا تستطيع أن تصرف قلبه إلىٰ ما لم يرده الله منه قضاءً وقدراً، فحدّك ونهاية إرادتك هداية الدلالة والإرشاد في أمر الدنيا والدين.

فالله ـ تعالىٰ ـ هو مقلب القلوب ومصرفها، وكان أكثر دعاء الرسول ﷺ:

«يا مقلب القلوب: ثبت قلبي على دينك»[١]، وكان أكثر أيمانه: «لا ومصرف القلوب»[٢]، «لا ومقلب القلوب»[٣].

المقصود بالهداية في الفاتحة:

والداعي - قارئ الفاتحة - يسأل الله نوعي الهداية، هداية الدلالة والإرشاد، وهي: العلم النافع الموافق للحق، وهي القوة العلمية النظرية، ومن دقائق ذلك الهداية في الأمور المختلف فيها، فقد ثبت الأجر للمجتهدين، ولكن من أصاب له أجران، وكان ﷺ يدعو في افتتاح صلاة الليل فيقول: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[٤]، وهداية التوفيق والإلهام، وهي: قبول القلب للحق، وانشراحه به، ومحبته له، وعمله به، وهي القوة العملية الإرادية[٥]، تطلب ذلك من الله؛ لأنه هو الذي: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي

---

(١) رواه الترمذي عن أم سلمة - رضي الله عنها - في كتاب الدعوات، باب: دعاء يا مقلب القلوب، ص ٨٠٣، رقم ٣٥٢٢، وقال: هذا حديث حسن، وأحمد، ٦ / ٩١، عن عائشة، و٣٠٢ و ٣١٥ عن أم سلمة - رضي الله عنها -، وغيرهما، وقال الألباني - رحمه الله -: «وإسناده صحيح» السلسلة الصحيحة، رقم ٢٠٩١.

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - في كتاب الكفارات، باب: يمين رسول الله ﷺ التي كان يحلف بها، ص ٣٠٠، رقم ٢٠٩٢، وقال الألباني - رحمه الله -: «وهذا إسناد جيد» السلسلة الصحيحة، رقم ٢٠٩٠.

(٣) رواه البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - في كتاب التوحيد، باب: مقلب القلوب، ص ١٢٧٢، رقم ٧٣٩١.

(٤) رواه مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - في كتاب الصلاة، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ص ٣١٤، رقم ٧٧٠.

(٥) أشار للقوة العلمية النظرية والعلمية الإرادية ابن القيم، انظر: بدائع التفسير، ١ / ١٠٨، وانظر: تفصيل ذلك في: منازل العباد بين القوة العلمية والقوة العملية، لهشام آل عقدة، طبع دار طيبة.

قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧ - ٨]، وقال المؤمنون في الآخرة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ومما يدل على أن المراد هنا الهداية بنوعيها أنه - تعالى - قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ولم يقل: اهدنا إليه، أو اهدنا له؛ ليدل على المعنى الجامع للهداية[1].

المقصود بالصراط المستقيم، والفرق بينه وبين الطرق المعوجة:

معنى الصراط: الطريق الواضح، مستعار من قولهم: صَرَطَ الطعامَ. إذا بلعه وسار في مجراه.

والمستقيم: ضد المعوج، والخط المستقيم هو أقرب خط بين نقطتين، و ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أقرب طريق يوصل العبد إلى ربه وإلى دار كرامته.

والمقصود به في سورة الفاتحة: معرفة الحق، والعمل به، فهذا هو الموصل لرضى الله ودار كرامته.

---

(١) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ٢٣٧. وذكر الراغب الأصفهاني، وابن القيم - رحمهما الله - للهداية أربعة أنواع:

فالنوعان الماضيان هما المرتبة الثانية والثالثة، وزادا:

- الهداية العامة المشتركة بين الخلق: قال - تعالى -: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، فخلق كل شيء على صورته، وأعطى كل عضو شكله، وهداه إلى ما خلقه له من العمل، ولكل مخلوق ما يناسبه من هذه الهداية.

- غاية الهداية: وهي الهداية إلى الجنة أو النار، قال - تعالى - عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال عن أهل النار: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣]. والهداية المسؤولة في الفاتحة للنوعين الماضيين المفصلين أولاً. انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٨٣٥، وبدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ٢٥١ - ٢٥٢.

والطريق المعوج أبعد من المستقيم إذا كانا في اتجاه واحد مبدأ ونهاية ـ ولا شك ـ.

والسير في الطريق المعوج سبب للتأخر في الوصول إلى الغاية، بخلاف السير في الطريق المستقيم فهو سهل وسريع.

والمستقيم أوضح للسالك وآمن من المعوج الذي يحير ويخيف.

ومن المعوج ما لا يوصل، فالمنافق، والمشرك، والكافر، وأهل الكتاب بعد سماعهم بمبعث محمد ﷺ إن لم يؤمنوا به ويتبعوه فليس لهم إلى الله طريق، بل هم إلى النار، وبئس القرار ـ والعياذ بالله ـ.

والفاسق الموحّد على طريق معوج بحسب فسقه، وهو في الآخرة تحت مشيئة الله ـ تعالى ـ، فإن شاء عذبه بقدر ذنبه، وإن شاء عفا عنه.

أقوال العلماء في الصراط المستقيم:

قيل: هو الإسلام؛ ويدل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ ثم قال بعدها: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٢٥ - ١٢٦]، وقال ﷺ: «ضرب الله صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس: ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك، لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»[1].

---

(١) رواه أحمد، ٤ / ١٨٢، ١٨٣، والترمذي في سننه، أبواب الأمثال، باب: ما جاء في مَثَل الله ـ عز وجل ـ لعباده، ص ٦٤٢، رقم ٢٨٥٩، وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في=

وقيل: هو العمل بما في القرآن؛ ويدل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

وقيل: هو العبادة: ويدل عليه: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦١].

وقيل: هو اتباع محمد ﷺ، ويدل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

وقيل: هو اتباع طريق أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ.

وكل هذه الأقوال تعود إلى معنى واحد يشملها، وهو: إقامة معنى الشهادتين؛ أي: إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة، وهو معنى شهادة ألا إله إلا الله، وإفراد الرسول ﷺ بالطاعة، وهو معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

وكل الأديان المنزلة تأمر بدين التوحيد واتباع المرسلين، والشيطان يصد بني آدم عن هذا الصراط المستقيم: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠ - ٦١].

ومن قال الصراط: طريق أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، فقد أصاب الحق؛ لأن طريق أبي بكر وعمر هو اتباع لطريق محمد ﷺ.

= الكبرى، ٩ / ٦١، والحاكم في المستدرك، ١ / ٧٣، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه ابن كثير في تفسيره، ١ / ٢٧، والألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح، ١ / ٦٧.

وهنا سؤال صحيح يرد على المتأمل: كيف يسأل المسلم المصلي الهداية مع أنه مهتد؟!

والجواب عن ذلك من أوجه:

الوجه الأول: أن الهداية الكاملة للصراط المستقيم «أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في هذا الوقت من علم وعمل، ولا يفعل ما نهي عنه، وهذا يحتاج في كل وقت إلى أن يعلم ويعمل ما أمر به في ذلك الوقت وما نهي عنه، وإلى أن يحصل له إرادةٌ جازمةٌ لفعل المأمور، وكراهةٌ جازمةٌ لترك المحظور، فهذا العلم المفصل والإرادة المفصلة، لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد، بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات، ما يهتدي به في ذلك الصراط المستقيم»[1].

فمن المسلمين مثلاً: من يقوم بمائة عمل صالح في اليوم الواحد، سواء كان هذا العمل الصالح ظاهراً أو باطناً، ومن العمل الصالح طلب العلم النافع، ومنهم من يقوم بأقل من ذلك أو أكثر، فهم حين يطلبون لأنفسهم الهداية فهم يطلبون التكميل في درجاتها.

بل إن العمل الصالح الواحد وإن قام به كثير، فإنهم يختلفون في هدايتهم، ولذلك يصلي اثنان خلف إمام واحد وهما متجاوران، فينتهيان والفرق بين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وكذلك التوكل، والولاء والبراء، والصدقة، والصيام، والحج، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن الخلق...

الوجه الثاني: أن الهداية ليست مرتبة واحدة، بل هي مراتب كثيرة جداً، تكمل بكمال التقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ١٤ / ٣٧ـ٣٨.

١٣] ، وقال ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] ، وقد امتن ـ تعالىٰ ـ علىٰ نبيه ﷺ في صلح الحديبية فقال: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، والمراد زيادة هدايته.

وهناك مراتب الدين الثلاث: الإسلام، وأعلىٰ منه: الإيمان، وأعلىٰ منه: الإحسان، وكل مرتبة لها درجات.

وهناك مرتبة النبوة، وأدنىٰ منها الصدِّيقية، و أدنىٰ منها الشهادة، وأدنىٰ منها الصلاح، ولكل مرتبة منها درجات بحسب العلم والعمل الظاهر والباطن.

الوجه الثالث: أن العبد يطلب التثبيت والدوام علىٰ الهداية حتىٰ الممات، والتثبيت من الله ـ تعالىٰ ـ : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ومن أدعية الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، وأعظم الراسخين في العلم الأنبياء، وأفضلهم خاتمهم محمد ﷺ، وقد كان من أدعيته ﷺ: «يا مقلب القلوب: ثبت قلبي علىٰ دينك»(١)، «اللهم: مصرف القلوب: صرف قلوبنا علىٰ طاعتك»(٢).

فانظر كيف يحرص ﷺ علىٰ هذا الدعاء، وهو رسول رب العالمين، وسيد الخلق أجمعين، وقد وعده الله بالجنة، بل وعده المقام المحمود (الشفاعة الكبرىٰ)، والحوض المورود، والكوثر!! وهذا الدعاء منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ اعتراف بفضل الله ـ تعالىٰ ـ عليه بالهداية، وأنه ﷺ لا يملكها، ودعوة لربه أن يثبته عليها، ولا ينقصه من كمالها، بل يزيده في مراتبها.

---

(١) سبق تخريجه، ص ٤٣.

(٢) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ في كتاب القدر، باب: تصريف الله ـ تعالىٰ ـ القلوب كيف شاء، ص ١١٥٦، رقم ٦٧٥٠.

فاستحضر ـ أخي المسلم ـ أن دعاءك بالهداية في الفاتحة يستلزم منك الحرص على تحصيل أمرين مهمّين:

أحدهما: العلم النافع، والزيادة منه، ومذاكرته وحفظه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

الثاني: العمل بالعلم النافع، والثبات عليه، والزيادة منه.

* * *

فائدة لطيفة في توجيه نون الجمع في قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾، ﴿نَسْتَعِينُ﴾، ﴿اهْدِنَا﴾.

لا شك أن الدعاء يستلزم التضرع، والتضرع يستدعي إظهار الضعف والذل، وطلب الهداية جاء على صيغة الجمع، فلماذا أسند فعل العبادة والاستعانة والهداية إلى النون الدالة على جمع المتكلمين مع أنه قد يكون الداعي واحداً؟

لذلك أجوبة؛ منها:

ـ أن العبد يُدخل نفسه في عموم عباد الله الصالحين فلا يظهر نفسه من دونهم، وهذا أذهب لعجب النفس وعظمتها(١).

ـ أن الجمع هنا يظهر كمال الثناء على الله ـ تعالى ـ بكثرة العبيد والمماليك، فهم خلق كثير كلهم يطلب الهداية والمعونة من ربهم ـ تعالى ـ، ومثل ذلك عامة أدعية القرآن، كآخر سورة البقرة، وأول آل عمران وآخرها، وغيرها (٢).

ـ أن العبد يدعو لنفسه وإخوانه المؤمنين، وهذا فيه اقتداء بأدب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، قال نوح ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا

---

(١) ذكر الآلوسي عن بعضهم: أن إسماعيل ﷺ قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وصبر، وموسى الكليم ﷺ: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩] ولم يصبر، مع قولهما: ـ إن شاء الله ـ؛ لفضيلة إدخال الإنسان نفسه مع الجماعة في الدعاء ـ والله أعلم ـ، انظر: روح المعاني، ١ / ١٤٦.

(٢) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ٢٥٥.

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقال الله لمحمد ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

- وفيه مشروعية اهتمام الداعي بإخوانه المسلمين، فهو شخص يحب الخير للناس؛ فلا ينساهم، بل يدعو لنفسه ولهم.

- ثم إن الفاتحة تجب قراءتها في الصلاة، وهي مشروعة على هيئة الجماعة، وفيها ثلاث صلوات يومية جهرية، والإمام يدعو، وكلهم يؤمِّنون لهم ولإخوانهم بعامة، ولو أمَّنوا على صيغة مفردة لصار دعاؤهم للإمام وحده!!

الآية السادسة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

لم ينته دعاء العبد بعد، بل كل ما بعد قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة توضيح لهذا الدعاء وتمييز له، ورغبة في بيان الطريق المرغوب المطلوب، ورهبة وخوف من الطريق المكروه المرهوب.

فلما وصف الطريق بأنه: مستقيم، زاد في إيضاحه فوصف الذين ساروا عليه وسلكوه، والتزموه ولم يغيروا ولم يبدلوا، فهو طريق ليس بخال من السالكين، فلا يوحش سالكه، بل هو مطروق مسلوك، والمشاؤون عليه هم أفضل الخلق.

نعم يُهمّهم أن يوضحوا رغبتهم في الطريق المميز - بهذا التوضيح الشافي - ، فقد تلتبس الطرق على السالكين؛ لكثرتها واشتباهها، فبينوا أنه طريق مَن منّ الله عليهم بالنعمة الخاصة، النعمة المطلقة التي يكون معها الحياة الطيبة والفلاح الدائم؛ لا مطلق النعمة التي لا تستلزم ذلك.

من هم المنعم عليهم؟

وقد بين الله - تعالى - أن المنعم عليهم أصناف، فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠].

إنها رغبة من الداعي أن يشابه القدوات الحسنة من خيار الخلق، فالمنعم عليهم - سالكو الصراط المستقيم - من أطاع الله وأطاع رسله، وهذا الوصف يدخل فيه كل مسلم موحد لله من جميع المكلفين، من الجن والإنس إلى يوم القيامة.

وهذه النعمة فضل من الله، والله عليم حكيم حيث يجعل فضله، فلا يكترث الداعي بقلة السالكين ما داموا منعماً عليهم - وهم حقاً قليل - ،

ولا يكترث الداعي إذا كان أعداؤهم أكثر عدداً؛ لأنهم الأقل قدراً، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فلما وصف الصراط بالاستقامة، وبيَّن في آية أخرىٰ صفات المشائين عليه، وهم: الأنبياء والصدِّيقون والشهداء والصالحون؛ دل ذلك علىٰ أن هذا ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ معنوي لا حسي، يسلكه المنعم عليهم في الدنيا بالعلم النافع والعمل الصالح، فيوصلهم ذلك إلىٰ رضوان الله، وإلىٰ جنته.

والنعمة لغة: الحالة الحسنة، وهي لين العيش، وملاءمته لصاحبه، وترفهه به[١]، والإنعام: إيصال الإحسان إلىٰ العقلاء[٢].

وهداية الصراط المستقيم أعظم نعمة يؤتيها الله العبد علىٰ الإطلاق، فهي أعظم من الطعام والشراب واللباس، وأعظم من سائر الحواس؛ لما يترتب عليها من نعيم الدنيا الحقيقي، ونعيم الآخرة الأبدي.

والمنعم عليهم درجات: - كما سبق - ، فأعظمهم الأنبياء، وهم درجات، وأفضلهم محمد ﷺ، وهم علىٰ الصراط المستقيم، ثم الصدِّيقون وأشهرهم أبو بكر رضي الله عنه، وهم علىٰ الصراط المستقيم، ثم الشهداء، وأفضلهم: حمزة رضي الله عنه، ورجل قام إلىٰ إمام جائر فأمره ونهاه فقتله[٣]، وهم علىٰ الصراط المستقيم، ثم الصالحون درجات كثيرة؛ فأعلاهم من يدخل الجنة بغير حساب، وهم علىٰ الصراط المستقيم، ويوصف الشخص بالصلاح ويصيب طرفاً

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥ / ٤٤٦.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٨١٥.

(٣) الحديث رواه الحاكم في المستدرك عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -، ٣ / ١٩٥، والطبراني في الكبير، ١ / ٣٠٠ / ٢، والخطيب في تاريخ بغداد، ٦ / ٣٧٧، و ١١ / ٣٠٢، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: «اطمأن القلب لثبوت الحديث»، رقم ٣٧٤، وحسنه في صحيح الجامع الصغير، ص ٦٨٥.

منه إذا دخل في الإسلام وعمل بشرائعه، ويبتعد عن الصلاح إذا قصَّر في أداء الواجبات، أو قصَّر في ترك الكبائر والمحرمات، ولكنه لم يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام ومات على ذلك، فالله ـ تعالى ـ قد يعفو عنه فلا يعذبه، أو يعذبه بقدر ذنبه، ثم يدخله الجنة بسبب توحيده.

إن المكلفين يسلكون بأعمالهم طرقاً كثيرةً مختلفةً، والله ـ تعالى ـ يعلّمنا أن ندعوه فيوفقنا للطريق الصحيح الموصل إليه، فندرك بذلك الاستجابة لأمره في قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

العلاقة بين الصراط المستقيم في الدنيا والصراط المنصوب على جهنم:

أخي: اعلم أن سلوك هذا الطريق المعنوي في الحياة الدنيا؛ له أثر عظيم في نجاتك حين تسير على الصراط الحسي المنصوب على متن جهنم يوم القيامة، ومن أوصافه المخيفة أنه: «مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد يقال لها: السعدان»[(١)]، وقال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: «بلغني أنه أدق من الشعر وأحدّ من السيف»[(٢)].

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «إن اقتسام الأنوار على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، وكذلك مشيهم على الصراط في السرعة والبطء، وذلك أن الإيمان والعمل الصالح في الدنيا هو الصراط المستقيم في الدنيا الذي أمر الله

---

(١) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في كتاب التوحيد، باب: قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، ص ١٢٨١، رقم ٧٤٣٩، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية. ص ٩٥، رقم ٤٥٤.

(٢) رواه مسلم موقوفاً على أبي سعيد رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ص ٩٦، بعد رقم ٤٥٥، وله حكم المرفوع ـ والله أعلم ـ، واختلف العلماء في الصراط هل هو واسع أو ضيق؟ فقال بعضهم: إن الصراط واسع؛ لأنه دحض مزلة، وقال بعضهم: إنه ضيق؛ لقول أبي سعيد، ولكل منهما حجة، ولم يجزم الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ بأحد القولين؛ لأن كلاً له حجة قوية. انظر: شرح العقيدة الواسطية، ٢ / ١٦٠.

العباد بسلوكه والاستقامة عليه، وأمرهم بسؤال الهداية إليه، فمن استقام سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ظاهراً وباطناً؛ استقام مشيه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم، ومن لم يستقم سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا، بل انحرف عنه، إما إلى فتنة الشبهات، أو إلى فتنة الشهوات، كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم، بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له عن هذا الصراط المستقيم؛ كما في حديث أبي هريرة: «أنها تخطف الناس بأعمالهم»(١).

فيا من يريد النجاة عند مروره فوق الصراط المنصوب على متن جهنم- وكل عاقل حصيف إلى ذلك مبادر-: اسلك صراط الله الذي أمرك بسلوكه في الدنيا، فحقق الشهادتين؛ إخلاصاً لله- تعالى- بالعبادة، وتوحيداً للرسول ﷺ بالطاعة.

وأَحْبِب الأنبياء، وآمن بهم كلهم، ولا تفرِّق بين أحد منهم، وأَحْبِب الصدِّيقين، وأَحْبِب الشهداء في سبيل إعلاء هذا الدين، وأَحْبِب الصالحين، محبة صادقة لا مدّعاة؛ يصدقها مماثلتهم ومشابهتهم والاقتداء بهم، و «المرء مع من أحب»(٢).

---

(١) التخويف من النار، ص ٢٤٤، والجملة الأخيرة من حديث طويل رواه أبو هريرة رضي الله عنه، خرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل السجود، ص ١٣٠، رقم ٨٠٦، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ص ٩٢، رقم ٤٥١.

(٢) رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب البر والصلة، باب: المرء مع من أحب، ص ١١٥٠، رقم ٦٧١٨.

الآية السابعة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾

يبين العبد ويزيد الوضوح في سؤاله ـ كما علمه الله ـ ، فيسأله أن يجنبه طريق من كان منعماً عليه بالهداية إلى الصراط المستقيم ولكنه تنكبه ولم يستقم عليه، فترك القوة العملية الإرادية كالمغضوب عليهم، أو ترك القوة العلمية النظرية كالضالين.

وهذا الدعاء يستلزم مراعاة العبد نفسه؛ ليسلم مما وقع فيه هذان الفريقان فيحذر طريقهما، ففي الحديث قال ﷺ: «لتسلكن سنن من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه. قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن»(١).

ومعنى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يا رب، جنبنا طريق المغضوب عليهم.

أوضح مثال على المغضوب عليهم:

إن أوضح أمة وقع عليها وصف الغضب هنا: هم اليهود بعد تبديلهم، والغاضب عليهم هو الله ـ تعالى ـ ، كما صرح بذلك فقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] ، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠] ، غضب متكرر مرة بعد مرة بحسب أعمالهم، أو هو غضب مضاعف متراكم بعضه فوق بعض(٢)، وقال: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠] ، وورد بذلك الحديث، فعن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود

---

(١) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ص ٥٨٢، رقم ٣٤٥٦، ومسلم في كتاب العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى، ص ١١٦٢، رقم ٦٧٨١.

(٢) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ٢٤٤ـ٢٤٥.

مغضوب عليهم، والنصارىٰ ضُلال»[١]، وهذا التفسير أجمع عليه المفسِّرون[٢].

وإنما أضاف الغضب لما لم يُسم فاعله ولم يصرح به؛ لأمرين:

أحدهما: كمال الأدب في الخطاب، وإن كان قد يصرح به في مواضع أخرىٰ، كقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠][٣].

الثاني: أن الغضب ليس من الله ـ تعالىٰ ـ وحده، بل إن أولياء الله، كالملائكة والرسل والصالحين يغضبون لغضب ربهم ـ تعالىٰ ـ، كما يرضون لرضاه ـ سبحانه ـ[٤].

وعلىٰ المسلم إثبات صفات الله علىٰ ما وصف به ـ تعالىٰ ـ نفسه من غير تعطيل ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تشبيه؛ إذ هو كما وصف نفسه في محكم التنزيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومعنىٰ قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي: ويا رب! جنبنا طريق الضالين، والضال: هو كل من سلك طريقاً غير مراد بسبب الخطأ، فهو ضال غير مهتد.

أوضح مثال على الضالين:

وأوضح أمة وقع عليها وصف الضلال هنا: هم النصارىٰ بعد تبديلهم وقبل مبعث محمد ﷺ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، فهذه الآية جاءت بعد ذكر عقيدتهم في التثليث، وورد بذلك الحديث عن النبي ﷺ؛ حيث قال: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارىٰ

---

(١) رواه الترمذي في سننه، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، في أول التفسير، ص ٦٦٤، رقم ٢٩٥٣، وأحمد، ٤ / ٣٧٨، والطيالسي، ١ / ١٤٠، والطبراني في الكبير، ١٧ / ٩٨، وحسنه ابن حجر في فتح الباري، ٨ / ١٥٩، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري، ١ / ١٨٦، والألباني في صحيح الجامع، ص ١٣٦٣.

(٢) انظر: الإجماع في التفسير، للشيخ محمد بن عبد العزيز الخضيري، ص ١٣٧ ـ ١٤١.

(٣) سبق ذكر نماذج مماثلة من ذلك، انظر حاشية ص٢١ ـ ٢٢.

(٤) انظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ٢٣٥.

ضُلال»[١]، وهذا التفسير أجمع عليه المفسِّرون[٢].

وليس المقصود وصف اليهود بالغضب دون الضلال، ولا وصف النصارىٰ بالضلال دون الغضب، بل ذكر الله لكل ملة أشهر وصف لها، مع أن كلاً منهم مغضوب عليه وضال[٣].

سبب الغضب على اليهود، وسبب ضلال النصارى:

أما سبب غضب الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ اليهود؛ فلأنهم علموا الحق وكفروا به؛ لكبر وهوىٰ وحسد وأثرة وطلب رئاسة، فهم بفعلهم غير منعم عليهم.

ومن ذلك: كفرهم بخاتم الأنبياء محمد ﷺ مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقبله: عبدوا العجل، وعبدوا عُزيراً، وقتلوا الأنبياء، وكفروا بالآيات البينات المعلومات.

وحال من علم ولم يعمل بعلمه أن يُغضَب عليه، فاليهود عندهم علم بلا عمل.

أما سبب وصف النصارىٰ بالضلال فقد يشكل علىٰ بعض الناس؛ لكون النصارىٰ هم أتباع عيسىٰ ﷺ؛ فكيف يوصفون بالضلال؟ ولتوضيح ضلالهم المقصود هنا يمكن أن يقال: إن عيسىٰ ﷺ جاء مصدقاً بالتوراة، وآتاه الله الإنجيل فيه بعض التيسير، وبعض الشرائع اليسيرة القليلة، وهناك شيء كثير لم يذكر في الإنجيل فمرجعهم فيه إلىٰ التوراة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٦ - ٤٧].

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة، حاشية (١).

(٢) انظر: الإجماع في التفسير، للشيخ محمد بن عبد العزيز الخضيري، ص ١٣٧ ـ ١٤١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١ / ٢٨.

فأصابهم وصف الضلال من هذا الجانب؛ إذ لما بُعث عيسىٰ ـ عليه السلام ـ فآمن به من آمن، وكفر به باقي اليهود كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤]؛ كفرت النصارىٰ بموسىٰ ﷺ، وكفرت بالتوراة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١١٣].

ولما كفرت النصارىٰ بالتوراة ذهبت الشرائع الموجودة في التوراة، فابتدعوا وعملوا بما لم يأذن به الله، عملوا علىٰ جهالة وضلالة، فعندهم نقص في العلم وليس عندهم نقص في العمل.

إضافة إلىٰ تميز عباداتهم بالابتداع من مبدأ التثليث إلىٰ الرهبانية وغيرها، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

وذكر الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أن المقصود بهؤلاء النصارىٰ مَنْ بعد الحواريين إلىٰ ما قبل بعثة محمد ﷺ، أما مَنْ بعد ذلك فهم داخلون في الأمة الغضبية؛ لكمال الحجة وبلوغ العلم ـ والله أعلم ـ[1].

هل يختص وصف المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى؟

لا يختص باليهود والنصارىٰ، بل كل من شابههم فله قسط من هذا الوصف، وقد وصف الله الكفار ـ سواء كان كفرهم أصلياً أم ردة ـ باستحقاق الغضب والضلال، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧].

---

(١) ذكره في تفسيره المسموع المجموع، جزء عم، افتتحه بالفاتحة، عند جملة: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

بل إن المسلم متوعد بغضب من الله، إذا قتل أخاه المؤمن عامداً، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وكذلك الزوجُ الملاعِنة الكاذبة متوعَّدة بغضب الله عليها إذا كذبت في ملاعنتها: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٩].

فالمؤمن يدعو الله ـ تعالىٰ ـ أن يجنبه طريق اليهود ـ ومن شابههم من الفرق والديانات ـ الذين علموا الحق ولكن تخلّف عنهم العمل بما علموا، فاستخفُّوا بالدين، وأعرضوا عنه، وتأولوه بالتأويلات البعيدة، وحرَّفوه، وبخلوا به فكتموه، وقست قلوبهم، وأمروا الناس ونسوا أنفسهم.

ويدعو الله ـ تعالىٰ ـ أيضاً: أن يجنبه طريق النصارىٰ ـ ومن شابههم من الفرق والديانات ـ الذين عملوا ولكن بلا علم، فابتدعوا في الدين، وشرعوا ما لم يأذن به الله، وأساؤوا الفهم، ولم يصغوا لأهل العلم، والله ـ تعالىٰ ـ يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] و [الأنبياء: ٧]، وغلوا في الأنبياء والأولياء والصالحين، ونحو ذلك.

«قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: كانوا يقولون: مَنْ فسد من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومَنْ فسد من العُبَّاد ففيه شبه من النصارىٰ. وكان السلف يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون»(١).

مما سبق نعلم أن الهداية المطلوبة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿اهْدِنَا﴾ نوعان:

الأول: العلم النافع، وبذل الجهد في تحصيله، وتعلمه وتعليمه.

الثاني: العمل الصالح بما حصل من علم نافع.

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية ـ رحمه الله ـ، ٢ / ١٤٢.

ولقد سار على هذين الأمرين الأنبياء والصدِّيقون والشهداء والصالحون، فعندهم علم نافع أتبعوه عملاً صالحاً، وتجنب أحدهما اليهود؛ وذلك بترك العمل بالعلم، وتجنب أحدهما النصارى بالعمل بغير علم، وأما المنعم عليهم فهم مرضي عنهم لا مغضوب عليهم، مهتدون راشدون لا ضالون.

وهذا يدعو المسلم إلى بذل الوسع، واستفراغ الهمة في طلب العلم النافع، والعمل به ظاهراً وباطناً، في كل زمان ومكان، فيسلك طرق العلم، ويحرص على رفع الجهل عن نفسه فيما يقربه إلى الله - تعالى -، ويدين دين الله - عزّ وجلّ - بما يستطيع من شرائعه، ويكرر هذا الدعاء ويستشعر ضرورته الملحَّة إليه.

فليس المقصود جمع العلوم، والتحدث فيها بما هو جميل فقط، دون العمل به باطناً وظاهراً، فالتوحيد يجب تطبيقه على النفس، ويجب اختبارها وابتلاؤها في تعظيمها لخالقها، إذا علم من صفات ربه ما علم، وعلم من الشرائع ما علم، عليه أن يحاسب نفسه على ما علم؛ هل فعل أو ترك؟

أمثلة من أعمال بعض المسلمين المشابهة لليهود والنصارى:

فكم من المسلمين يعلم حكم تارك الصلاة، ويتركها، ويعلم حكم تحريف الكلم عن مواضعه ويحرف، ويكتم دين الله - تعالى -، ويتحايل على الدين ويعلم حرمة ذلك، ويعلم تحريم قطيعة الرحم وهو قاطع، ويعلم تحريم الكذب وهو كذاب، ويعلم أن الربا حرام ويرابي أو يكتب أو يشهد، ويعلم أن الغيبة محرمة وهو يغتاب، ويعلم أن الغش حرام وهو غشاش، ويعلم أن الإسبال محرم وهو مسبل، ويعلم أن حلق اللحية محرم وهو يحلق، ويعلم أن الدخان محرم وهو يدخن.

ومن أمثال هذه الأفعال التي اقترن بالعمل بها العلم بتحريمها فعلاً وتركاً، يستحق فاعلها غضب الله - تعالى - عليه، وعقوبته على ذلك بقدر ذنبه، ويصيب شبهاً من اليهود بقدر تركه مما يعلم، من دون عذر مشروع.

وكم من المسلمين يجهل تحريم الطواف على القبور ويطوف، ويجهل بدعية الموالد كلها ويحتفل بها تعبداً، ويبتدع قاصداً الأجر والثواب، ويغلو في النبي والولي، ويرفعهم فوق مرتبة العبودية لله، ومن أمثال ذلك من الأعمال بلا علم، خاصة مع الاستحسان والقربة بما لم يشرع الله ـ عز وجل ـ، فيستحق فاعلها وصف الضلال وجزاءه، ويصيب شبهاً من النصارىٰ بقدر ما فعل.

إن هذا الدعاء العظيم الذي ترتج به مساجدنا ومصلياتنا، وتلهج به ألسنتنا نغفل كثيراً عن معانيه، فلا نستحضرها في سؤالنا وطلبنا، فنحن ندعو ربنا أن يوفقنا للعلم النافع كل صلاة، ولكننا لا نحرص على سماع القرآن، ولا على معرفة معنىٰ كلام الله، ولا نحرص علىٰ سماع الحديث النبوي، ولا علىٰ فهم معناه، ولا نحرص علىٰ سماع الذكر، ولا علىٰ التفكر في النفس والكون والآفاق، أو نحن مقصرون في ذلك بنوع من التقصير.

ونحن ندعو ربنا ـ عز وجل ـ أن يوفقنا للعمل بما علمنا، ولكن نحن كثيراً لا نسلك طريق العمل، بل قد نزداد علماً وننقص عملاً بما علمنا.

الدعاء للهداية إلىٰ الطريق المستقيم أعظم شيء يحتاجه المكلف، ومن رحمة الله بعباده أن أوجب عليهم هذا في الصلاة، بل جعله ركناً قولياً يجهر به في ثلاث صلوات يومية، ويقرؤه المصلون جميعاً، في الركعات والصلوات السرية فرضاً ونفلاً.

ولكن كم من مسلم يدعو بأن يجنبه الله طريق اليهود والنصارىٰ، وهو يشابههم ويقلدهم ويعظمهم، ويتمنىٰ أن يكون مثلهم في هيئاتهم وأخلاقهم وطبيعة حياتهم؟!

نصف الفاتحة ولاء وبراء:

وانظر إلىٰ هذا الدعاء وهو نصف الفاتحة كيف يكون دالاً علىٰ رغبة ومحبة وولاء للمؤمنين بجميع أصنافهم، ورهبة وبغض وبراء من الكافرين بجميع

أصنافهم، مع التنصيص على أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ؛ فكيف بمن عداهم من الكفار؟!

هذا الدعاء يقوي ويؤكد الولاء للمنعم عليهم ومحبتهم ونصرتهم ومشابهتهم، ويقوي ويؤكد البراءة والبغض لليهود والنصارىٰ ومن شابههم، كرهاً ينتج عنه البراءة منهم، ومعاداتهم وتكفيرهم ومفاصلتهم، وعدم التشبه بهم، فهذا الدعاء تقرير لعقيدة الولاء والبراء، بل إن نصف سورة الفاتحة تأكيد وتقعيد للولاء والبراء.

التأمين على دعاء الفاتحة

يشرع في الصلاة التأمين للإمام والمأموم والمنفرد، ومعنى «آمين»: اللهم استجب لنا. وكم منا - نحن المسلمين - ممن يدعو الله - عز وجل - بما لا يعلم معناه، وكم منا من يرتكب ما يخالف دعواه ودعاءه!

وقد ورد في فضل التأمين قوله ﷺ: «إذا أمَّن الإمامُ فأمِّنوا؛ فإنه مَنْ وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة، غُفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

فاحرص أخي: على إدراك التأمين، أكثر من حرصك على الركعة الأولى والثانية، في صلاة ثلاثية أو رباعية؛ لتدرك هذا الفضل العظيم.

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الأذان - وغيره بنحوه -، باب: جهر المأموم بالتأمين، ص ١٢٧، رقم ٧٨٢، ومسلم بلفظه في كتاب الصلاة، باب: التسميع والتحميد والتأمين، ص ١٧٤، رقم ٩١٥.

خاتمة البحث

هذه ملامح مهمة في تفسير هذه السورة العظيمة، وهذا الدعاء الضروري الذي حوته، وأختمها بكلام إمامين جليلين فيه:

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فحاجة العبد إلى سؤال الهداية ضرورية في سعادته ونجاته وفلاحه، بخلاف حاجته إلى الرزق والنصر، فإن الله يرزقه، فإذا انقطع رزقه مات، والموت لا بد منه، فإذا كان من أهل الهدى به كان سعيداً قبل الموت وبعده، وكان الموت موصلاً إلى السعادة الأبدية، وكذلك النصر إذا قدر أنه غلب حتى قتل، فإنه يموت شهيداً، وكان القتل من تمام النعمة، فتبين أن الحاجة إلى الهدى، أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق، بل لا نسبة بينهما»[١].

وقال أيضاً: «هو أفضل دعاء دعا به العبد ربه، وهو أوجب دعاء دعا به العبد ربه، وأنفع دعاء دعا به العبد ربه، فإنه يجمع مصالح الدنيا والآخرة، والعبد دائماً محتاج إليه، لا يقوم غيره مقامه، فلو حصل له أجر تسعة أعشار القرآن ـ دع ثلثه ـ، ولم يحصل له مقصود هذا الدعاء، لم يقم مقامه، ولم يسد مسده»[٢].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: مَنْ «عَلم أحوال الخلق؛ علم ضرورته وفاقته إلى هذا الدعاء الذي ليس للعبد دعاء أنفع، ولا أوجب منه عليه، وأن حاجته إليه أعظم من حاجته إلى الحياة والنَّفَس؛ لأن غاية ما يُقدّر بفوتهما موته، وهذا يحصل له بفوته شقاوة الأبد»[٣].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ١٤ / ٣٩.
(٢) المصدر السابق، ١٧ / ١٣٢.
(٣) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، ١ / ٢٤٧.

أسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلني وإياك والمسلمين من الهادين المهديين، الراضين المرضيين، غير ضالين ولا مضلين، وأن يقبل دعاءنا، ويثبتنا إلى أن نلقاه.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الأحاديث والآثار

م	نص الحديث	الصفحة
١	«أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك..» ـ كلام مَلَك..	١١
٢	«أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟».	١٦
٣	«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة..».	٥
٤	«إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا..».	٦٣
٥	«أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه..».	٢٧
٦	«أقبضتم فلذة كبده؟!..» ـ حديث قدسي..	٢١
٧	«إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً..».	١٤
٨	«إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة..».	١٦
٩	«أنها تخطف الناس بأعمالهم».	٥٤
١٠	«بلغني أنه أدق من الشعر، وأحدّ من السيف» ـ قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه..	٥٣
١١	«الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات...».	٢١
١٢	«ذاك الله ـ عز وجل ـ».	٣٧/ ح
١٣	«ربنا لك الحمد، ملء السموات، وملء الأرض..».	٢٠
١٤	«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل..» ـ حديث قدسي..	١٧، ٣٨
١٥	«الكبر: بطر الحق، وغمط الناس».	٤٠/ ح
١٦	«لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن..».	١٠

م	نص الحديث	الصفحة
١٧	«لأن يهدىٰ بك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حمر النعم».	٤٠
١٨	«لا ومصرف القلوب».	٤٣
١٩	«لا ومقلب القلوب».	٤٣
٢٠	«لتؤدن الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة..».	٢٦
٢١	«لتسلكن سنن من كان قبلكم...».	٥٥
٢٢	«لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل... مثلها».	١١/ح
٢٣	«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل...».	٤٣
٢٤	«اللهم لك الحمد كله».	١٩
٢٥	«اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا علىٰ طاعتك».	٤٨
٢٦	«مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب...».	٥٣
٢٧	«المرء مع من أحب».	٥٤
٢٨	«وإذا استعنت فاستعن بالله».	٣٨
٢٩	«وأفضل الدعاء الحمد لله».	٢٠
٣٠	«والحمد لله تملأ الميزان».	٢٠
٣١	«وما أدراك أنها رقية؟! خذوها واضربوا لي بسهم».	١٠
٣٢	«يا فاطمة... لا أغني عنك من الله شيئاً».	٢٦
٣٣	«يا معاذ! والله إني لأحبك! أوصيك يا معاذ...».	٣٨
٣٤	«يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك».	٤٣، ٤٨
٣٥	«اليهود مغضوب عليهم، والنصارىٰ ضُلال».	٥٥، ٥٦

المراجـع

١ ـ إتحاف فضلاء البشر، لأحمد بن محمد البنا، ت ١١١٧هـ، طبع عالم الكتب ١٤٠٧هـ، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل.

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١ هـ، تقديم وتحقيق مصطفى ديب البغا، طبع دار ابن كثير، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٣ ـ الإجماع في التفسير، للشيخ محمد بن عبد العزيز الخضيري، رسالة ماجستير، طبعة دار الوطن الأولى ١٤٢٠ هـ.

٤ ـ الإحسان إلى تقريب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين ابن بلبان، ت ٧٣٩ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٥ ـ الآداب الشرعية، لعبد الله بن محمد بن مفلح المقدسي، ت ٧٦٣ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

٦ ـ الأدب المفرد، للإمام البخاري، ت ٢٥٦ هـ، بتحقيق وتصنيف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ (إلى صحيح وضعيف)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار الصديق، الجبيل السعودية، ومؤسسة الريان ببيروت.

٧ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ت ١٣٩٣هـ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٨ ـ بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، جمع وتوثيق وتخريج: يسري السيد محمد، طبعة دار ابن الجوزي الأولى ١٤١٤ هـ.

٩ ـ تاريخ بغداد، لأحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي، ت ٤٦٣ هـ، طبع دار الكتاب العربي.
١٠ ـ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، ت ٥٩٧ هـ، مراجعة محمد حسن الحمصي، دار الرشيد دمشق بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
١١ ـ ترتيب القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ت ٨١٨ هـ، ترتيب الطاهر أحمد الزاوي، طبعة الحلبي الثانية.
١٢ ـ تفسير الفاتحة، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ، ت ١٢٠٦ هـ، بتحقيق الأستاذ الدكتور: فهد بن عبد الرحمن الرومي، تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ـ رحمه الله ـ، طبعة مكتبة الحرمين بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
١٣ ـ تفسير الفاتحة، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ـ رحمه الله ـ، ملحق بجزء عم، في شريطين صوتيين.
١٤ ـ تفسير القرآن الكريم، جزء عم مع الفاتحة، مذكرة بخط اليد لمقرر ١٠٦ ق، بكلية المعلمين بالرياض، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار.
١٥ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ، ت ١٣٧٦ هـ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠ هـ.
١٦ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١١ هـ، بتحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.
١٧ ـ جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ت ٢٧٩ هـ، طبعة دار السلام الثانية ١٤٢١ هـ، مجلد واحد.
١٨ ـ الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المشهور

بصحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ، طبعة دار السلام الثانية ١٤٢١ هـ، مجلد واحد.

١٩ - الجامع لأحكام القرآن، للإمام محمد بن أحمد بن فرح القرطبي، ت ٦٧١ هـ، طبع دار الكتب العلمية.

٢٠ - حاشية محيي الدين شيخ زاده، ت ٩٦٨ هـ، على تفسير البيضاوي، ت ٦٩١ أو ٦٨٥ هـ، طبع دار صادر بيروت.

٢١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الآلوسي، ت ١٢٧٠ هـ، طبع المكتبة التجارية لمصطفى أحمد الباز، ١٤١٤ هـ.

٢٢ - الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض - رحمه الله -، ت ١٤١٦ هـ، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ، دار الوطن.

٢٣ - السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، ت ٣٢٤ هـ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، طبعة دار المعارف الثالثة.

٢٤ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله -، ت ١٤٢٠ هـ، طبع مكتبة المعارف بالرياض ١٤١٥ هـ.

٢٥ - سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥ هـ، طبعة دار السلام الثانية ١٤٢١ هـ، مجلد واحد.

٢٦ - سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، ت ٢٧٣ هـ، طبعة دار السلام الثانية ١٤٢١هـ، مجلد واحد.

٢٧ - السنن الصغرى، المجتبى من السنن، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت ٣٠٣ هـ، طبعة دار السلام الثانية ١٤٢١هـ، مجلد واحد.

٢٨ - السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت ٣٠٣ هـ، تحقيق دكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

٢٩ ـ شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح بن عثيمين ـ رحمه الله ـ، ت ١٤٢١ هـ، طبعة دار ابن الجوزي الرابعة ١٤١٧هـ.

٣٠ ـ صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ هـ.

٣١ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، ت ١٤٢٠ هـ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٣٢ ـ صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت ٢٦١ هـ، طبعة دار السلام الثانية ١٤٢١ هـ، مجلد واحد.

٣٣ ـ العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، طبع دار الفضيلة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٤ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، طبع دار الفكر.

٣٥ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، لمحمد بن علي الشوكاني، ت ١٢٥٠ هـ، دار المعرفة.

٣٦ ـ الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، تحقيق محمد ومصطفى ابني عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ودار البيان القاهرة ١٤٠٨ هـ.

٣٧ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، ت ١٣٩٢ هـ ـ رحمه الله ـ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦ هـ.

٣٨ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت ٥٥٤ هـ، تحقيق المجلس العلمي بفاس، طبع ١٣٩٥ هـ.

٣٩ ـ المختارة، للضياء المقدسي، ٥٦٧ ـ ٦٤٣هـ، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٤٠ ـ المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ت ٤٠٥ هـ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، طبع محمد أمين دمج، بيروت لبنان.
٤١ ـ مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي، ت ٢٠٤ هـ، طبع مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ١٤٢١ هـ الطبعة الأولى.
٤٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت ٢٤١ هـ، طبع مؤسسة قرطبة بمصر، وطبعة محققة وزعتها وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
٤٣ ـ معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٦٠ هـ، تحقيق حمدي السلفي، طبع الدار العربية بغداد.
٤٤ ـ معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥ هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبع دار الجيل.
٤٥ ـ المغني، لعبد الله بن أحمد بن قدامة، ت ٦٢٠ هـ، طبع وزارة الشؤون الإسلامية.
٤٦ ـ مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ت ٤٢٥ هـ تقريباً، تحقيق صفوان داودي، طبع دار القلم، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحـــة
ـ المقدمة	٥
ـ التمهيد:	٩
مـرحلة نزول سورة الفاتحة	٩
فضائل السورة	٩
أسماء الفاتحة	١١
تفسير سورة الفاتحة	
البسملة	
معنى جملة البسملة	١٣
معنى اسم الله ـ تعالى ـ	١٣
معنى اسم الرحمن ـ تعالى ـ ، والفرق بينه وبين اسم الرحيم	١٤
معنى اسم الرحيم ـ تعالى ـ	١٥
رحمة الله نوعان	١٥
رحمة الخلق جزء من مائة جزء من رحمة الله ـ تعالى ـ	١٦
هل البسملة من الفاتحة؟	١٧
أدلة ترجح أن البسملة ليست من الفاتحة	١٧
الراجح أن البسملة آية مستقلة من القرآن كله	١٨
الآية الأولى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	
معنى الحمد، والفرق بينه وبين الشكر	١٩

الموضـــوع الصفحـــة

أحق كلمة قالها العباد ١٩
الحمد على كل الأحوال ٢١
جملة يقولها كثير من الناس وهي خطأ ٢١
سبب تفسير البسملة ضمن الفاتحة مع أن الراجح أنها ليست منها ٢٢
السبب الأول لاستحقاق الله ـ تعالى ـ الحمد ٢٢
ربوبية الله لخلقه نوعان ٢٢
معنى ﴿الْعَالَمِينَ﴾ ٢٢
سبب تسمية مفرد العالمين بعالَم ٢٣

الآية الثانية: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
السبب الثاني والثالث لاستحقاق الله للحمد ٢٤
تضمنت الآيات الثلاثة الأولى: أركان العبادة ٢٤

الآية الثالثة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
معنى قراءة: ﴿مَالِكِ﴾ و﴿مَلِكِ﴾ ٢٥
السبب الرابع لاستحقاق الله الحمد كله ٢٥
كمال عدل الله يوم الدين حتى بين جميع الدواب والطيور مهما صغرت أو كثرت ٢٥
لا أحد من الخلق يوم القيامة يملك أي شيء بل لله الملك كله ٢٦
متى تنفع الشفاعة؟ ٢٧
سبب حصر مُلك الله بيوم الدين مع أنه يملك الدنيا والآخرة ٢٧

الموضوع | الصفحة

الآية الرابعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
الفرق بين عبادة الاختيار وعبادة الاضطرار ٢٩
العبادة الشرعية دليل المحبة الصادقة ٣٠
دلالة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على التوحيد والتبرؤ من الكبر ٣٠
في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ رد على الجبرية والقدرية ٣١
معنى العبادة لغة وشرعاً ٣٢
أمثلة على الأعمال الباطنة والظاهرة المأمور بها والمنهي عنها ٣٢
لماذا قدمت العبادة على الاستعانة في هذه الآية؟ ٣٥
أيهما يقع أولاً من المكلف: العبادة أم الاستعانة؟ ٣٥
وقفة مع وظيفة العبادة ٣٦
معنى الاستعانة بين الخلق، ومعناها بين الخلق والخالق ٣٧
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أنفع الدعاء ٣٨
الناس في العبادة والاستعانة أربعة أصناف ٣٩
فائدة الجمع بين العبادة والاستعانة للعبد ٣٩

الآية الخامسة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
الهداية لغة وشرعاً ٤٠
أنواع الهداية ٤٠
المقصود بالهداية في الفاتحة ٤٣
فائدة من قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ ولم يقل: إليه أو له ٤٤
المقصود بالصراط المستقيم، والفرق بينه وبين الطرق المعوجة ٤٤
أقوال العلماء في الصراط المستقيم ٤٥

الموضـــوع الصفحـــة

كيف يسأل المسلم المصلي الهداية مع أنه مهتد؟ ٤٧
توجيه نون الجمع في: ﴿نَعْبُدُ﴾، ﴿نَسْتَعِينُ﴾، ﴿اهْدِنَا﴾ ٤٩

الآية السادسة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾
من هم المنعم عليهم؟ ٥١
النعمة من الله ـ تعالىٰ ـ فضل، والله أعلم بمن هم أهل لهذا الفضل ٥١
فائدة من وصف سالكي الصراط بأنهم منعم عليهم ٥١
إنعام الله بالهداية علىٰ الناس درجات، وكل مرتبة درجات أيضاً ٥٢
العلاقة بين الصراط المستقيم في الدنيا والصراط المنصوب علىٰ جهنم ٥٣

الآية السابعة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾
الدعاء يتضمن الحرص علىٰ البعد عن هؤلاء، والحذر من المشابهة لهم ٥٥
أوضح مثال علىٰ المغضوب عليهم ٥٥
سبب إسناد الغضب إلىٰ فعل لم يسم فاعله ٥٦
إثبات صفة الغضب لله ـ تعالىٰ ـ علىٰ ما يليق بجلاله ٥٦
أوضح مثال علىٰ الضالين ٥٦
يشترك اليهود والنصارىٰ في غضب الله عليهم وضلالهم ٥٧
سبب الغضب علىٰ اليهود، وسبب ضلال النصارىٰ ٥٧
المقصود بالنصارىٰ الضالين ٥٨
هل يختص وصف المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارىٰ؟ ٥٨
من فسد من العلماء فشبهه باليهود أظهر، ومن فسد من العبَّاد فشبهه بالنصارىٰ أظهر ٥٩

الموضـوع	الصفحـة
الهداية المطلوبة في قوله ـ تعالىٰ ـ ﴿اهْدِنَا﴾	٥٩
أمثلة من أعمال بعض المسلمين المشابهة لليهود والنصارىٰ	٦٠
نصف سورة الفاتحة يتضمن عقيدة الولاء والبراء	٦١
ـ التأمين على دعاء الفاتحة	٦٣
ـ خاتمة البحث : عظمة الدعاء بالهداية وحاجة المكلف إليها	٦٥
ـ فهرس الأحاديث والآثار	٦٧
ـ المراجـع	٦٩
ـ فهرس الموضوعات	٧٥